20 me. année No 983

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Le Caire 5 — 5 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٨٣ «القاهرة فى يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ١٣٧١ — ٥ مايو سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

هذا هو الطريق ..

للاستاذ سيد قطب

« ولا تحسبنَّ الذينَ قُتلوا فى سبيلِ اللهِ أمواتاً ، بل أحياءٌ عندَ ربِّهم يُرزقون ، فرحين بما آتاهمُ اللهُ من فضله ، ويَستبشرون بالذين لم يَلحقُوا بهم مِنْ خَلفِهم ألاّ خوفٌ عليهم ولا هُم يحزنون ، يستبشرون بنعمةٍ من اللهِ وفَضلٍ ، وأنّ اللهَ لا يُضيعُ أجرَ المؤمنين : الذين استجابوا للهِ والرَّسولِ من بعدِ ما أصابهمُ القرحُ ، للذين أحسنوا منهم واتَّقوا أجرٌ عظيم ، الذين قالَ لهمُ الناسُ : إن الناسَ قد جَمعوا لكم فاخشَوْهم ، فزادهم إيماناً ، وقالوا : حسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ ، فانقلَبوا بنعمةٍ منَ اللهِ وفضلٍ لم يَمسسْهُم سوءٌ ، واتَّبعوا رضوانَ اللهِ ، واللهُ ذو فضلٍ عظيم . إنما ذلكمُ الشيطانُ يخوِّفُ أولياءَه ، فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين » قرآن كريم

كلما رأيت المتوجسين عن الجهر بكلمة الله ، وهم يزعمون الإيمان بالله .. كلما سمعتهم يجمجمون بهذه الكلمة ولا يصدعون خيفة أن يمسهم القرح ، وأن تسلط عليهم قوى الشر والطغيان..

كلما وجدتهم يلبسون هذا الضعف ثوب الكياسة واللباقة والمرونة والدهاء..

كلما أبصرت هذا كله عنت لى تلك الآيات القدسية الكريمة ترسم الطريق .. الطريق الذى لا طريق غيره إلى النصر والعزة والمنعة والتوفيق .. وهتفت من أعماق ضميرى : ألا إن هذا الدين لواحد ، ألا وإنه لن يصلح آخره إلا بما صلح به أوله.. ألا وإن هذا هو الطريق ..!

«الذين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل »

إنهم لم يقولوا : نحن قلة ضعيفة فى كثرة باغية ، فلنصبر على الذل ، ولنرض بالهوان ، ولنجامل الشر ، ولنتق الطغيان.. حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .. فالمؤمن يوقن : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وأن أمر الله إنما يتم بعباده الذين ينفذون أمره ، وأن السماء لا تمطر على الناس عزا ولا نصرا ، إنما هم يصلون قلوبهم بجبار السماء فتهون عليهم قوى الأرض ، وتهون معها حياة الأرض . وعندئذ ينقلبون بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء . وعندئذ يمكن الله لهم فى الأرض، لأنهم صدعوا بكلمة الله ، ولم يخشوا غير الله

* * *

ذكرت هذا كله وأنا أحضر اجتماعا يقول دعاته : إنهم اجتمعوا لتجديد شباب الإسلام والعمل لنصرة الإسلام، وإعزاز

العالم الإسلامي .. فلما أن جاء ذكر الحكم بالإسلام والعمل بشريعة الإسلام ، انتفض منهم الكثيرون مذعورين ، أن يثير عليهم هذا القول ثائرة الاستعمار وغير الاستعمار ، وأن يسبب لهم متاعب وعوائق ليس إلى اجتيازها من سبيل . وقال أوسطهم إنما نحن مؤمنون بأن الإسلام عقيدة وشريعة ، ودستور ونظام ، ولكننا نؤجل هذا إلى حينه ، ونأخذ فيما هو أسلم وأحكم !

قلت في نفسي : كيف ينتصر المهزومون في ضميرهم منذ اللحظة الأولى ؟ وكيف يكافح قوى الشر والطغيان من يفرق أن يجهر بالحق في كلمات على الورق ، أو كلمات على اللسان ؟

وعلم الله ما عجبت لشيء عجبي لدبلوماسية الأقزام التي يزاولها منا رجال . لا في ميدان الدعوة الإسلامية وحدها ، بل في ميدان الصراع القومي مع الاستعمار ، والصراع الاجتماعي ضد الطغيان ، والصراع الإنساني ضد الشر كله وهو ألوان ..

إنهم يسترون الضعف دائماً بستار « العقل » ويسترون الهزيمة دائماً بستار « المناورة » ويسترون حب السلامة دائماً بستار « المصلحة العامة » !

وإذا جاز لرجال السياسة المصرية الكاذبة الخادعة أن يتعذروا بتلك المعاذير ، فإنها لكبيرة أن يستعيرها منهم دعاة الإسلام . الإسلام الذي يقول ربه لرسوله : « فاصدع بما تؤمر » ويلمسه من رضى مخالفيه عنه مهما جامل وحاسن ، لأنهم لن يرضوا عنه إلا إذا ترك دينه جملة وعقيدته : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » !

إن الذين نداورهم أمهر منا في المداورة ، والذين نحسب أنفسنا نخدعهم ، أكثر منا يقظة وأشد خداعاً . فلم يبق إلا ذلك الطريق الواضح الصريح النظيف : أن نقول كلمة الحق التي نريد ، وأن ندعها تقرع الأسماع والقلوب ، وأن نؤمن بالله الذي يقول : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . ولله عاقبة الأمور »

* * *

وبعد فإن الإسلام الذي ندعو إليه عقيدة تنبثق منها شريعة، ويقوم على هذه الشريعة نظام اجتماعي ، ونظام دولي ، ونظام إنساني . ولا سبيل فيه لفصل العقيدة عن الشريعة ، ولا فصل الشريعة عن النظام الذي تنشئه وتحكمه . فهذه العقيدة لا تتم ، بل لا توجد ، إذا لم تنشئ مهما آثارها الطبيعية التي لا فكاك منها . فليتحسس عقيدته وليتفقدها من يرى شريعة غير شريعة الإسلام تحكم ، ثم لا يبذل جهده في رد الأمر إلى شريعة الإسلام ؛ ومن يرى نظاما غير النظام الإسلامي يسود ، ثم لا يعمل عملا أو يقول قولا ، يصحح به الأوضاع ، ويحقق به الصواب

إن الإسلام لا يعيش في الظلام ، فهو نور يعيش في النور . وإن الإسلام لا يخادع ولا يداور ، فهو كلمة الحق التي تكره المداورة والخداع . وإن الإسلام حقيقة واقعة تعيش في الأرض، لا سرا ولا مؤامرة تتوارى عن الأنظار

نحن نريد عالما إسلاميا .. فلندع إلى هذا العالم على أسسه الواضحة الصريحة : شريعة إسلامية ، ومجتمع إسلامي .. ولقد مضى - ولله الحمد - ذلك العهد الذي كانت البيغاوات تثرثر فيه بأن الدين رجعية ، وبأن الإسلام تعصب . . فقد اعترفت مؤتمرات « الخواجات » الذين تقلدهم البيغاوات بأن الشريعة الإسلامية مرجع هام للتشريع الدولي . ولقد أعجبني فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد عبد اللطيف دراز مدير الأزهر ، وهو يقول هذه الحقيقة متهكما على أحد بيغاواتنا « المثقفين » !

فمن قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم . فاصطكت أسنانهم ، وارتجفت مفاصلهم ، فلينظروا : أين هم من ذلك الطريق الذي رسمه الله ، في كتاب الله : « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » فلينظروا أين يتجه بهم الطريق !

إن أضواء النصر تلوح في أفق الفكرة الإسلامية فتجذب إليها الكثيرين . منهم من يبتغي وجه الله ، ومنهم من يحسبها تجارة كاسبة . ولكن الطريق طويل ، والعقبات كثيرة ، والقرح والابتلاء والاستشهاد ينتظر المجاهدين . وسيحق على بعضهم قول الله :

٢ ـ حسن البنـــا

الرجل القرآنى

للأستاذ أنور الجندى

هـذه « حلقة » أخرى من تلك « المخطوط » التى دونها « روبير جاكسون » فى مذكراته واطلع عليها « صديق » الذى يطلب العلم فى « واشنطون » .. والتى ينوى الكاتب الأمريكى تضمينها فى رسالة له عن « الرائد الأول للاخوان المسلمين » ا . ج

... انتهت الحرب ، وقد تجمعت للرجل قوة ، تجعله قادراً على أن يملى رأيه على كل حاكم .. ومن هنا بدا الخطر

خطر الرجل الفرد الأعزل ، الذى يعيش فى بيت صغير ، ولا يملك إلا مرتباً ضئيلا ، والذى جرد نفسه لفكرته ، وسحق مغريات الدنيا فلم تصمد تقف أمام إيمانه ، وهزأ بكل وسائل الإغراء وأسبابه ، حتى شهد الراقبون أن ليس وراء فكرته امرأة ولا هوى !

وكان مؤرخو الشرق يتنبأون للشرق برجل يتجمع حوله .. وكانوا يقولون إنه لو وجده لقامت الكتلة الإسلامية ، ولتحرر الشرق ..

وكان زعماء الغرب يخشون أن يكون قد وجد هذا الرجل فعلا .. قالوها لأول مرة ، بعد أن ثبت لهم أن « حسن البنا » لا تؤثر فيه المغريات ، وأنه لا يخضع ولا يحنى رأسه ..

وجاءت حرب فلسطين ، فأعطتهم تلك الصورة المزعجة الخارقة ، صورة الفدائية الإسلامية على شكل لم يعهد بعد بدر والقادسية وأجنادين ..

وعجب الغرب كيف يمكن أن تقوم فى الشرق « فئة » تقدم نفسها للموت على هذه الصورة العجيبة

وكان جهاد الإخوان فيها آية الآيات .. فقد بهروا كل من اتصل بهم .. ووقف الخصوم يقلبون .. ويرسمون الخطط لمستقبل الشرق على ضوء هذه القوة الخارقة

وأخذوا يتربصون الدوائر .. ولم يتأخر عنهم القدر ، فقد كان فى صفهم هذه المرة .. ، وسرعان ما أعطاهم « محفظة » سيارة الجيب

وتجمعت القوى الحاقدة ، والمغلوبة ، وترابطت الأهواء بالمطامع .. فى محيط الأحزاب والجماعات .. ، وأثير الغبار الكثيف .. وأعلنت الاتهامات والإرهاصات ، على أوسع نطاق

.. ووقف الرجل وسط النيران .. وقد خيل إليه أنه يستطيع أن يعمل شيئاً وجرت معه اتصالات ، متعددة ، كان لها أثرها ..

وشاهد الرجل فى أيامه الأخيرة ، هذا البناء الضخم ، وهو ينهار حجراً حجراً .. ينهار فى عالم المادة ، ويزداد قوة فى عالم الروح ..

.. وقد أمد إيمان الرجل بفكرته ، أنصاره بالقوة على احتمال كل ما أريد بهم ، أمدها لأن تحتمل التعذيب الذى لقيه بلال وخباب وعمار

أى إنسان كان هذا الرجل الذى صنع هذه النفوس المؤمنة الخالصة القوية الإيمان ، التى احتملت هذا العذاب فى صبر وثبات ..

* * *

« لو كان عرضا قريبا وسفراً قاصدا لاتبعوك . ولكن بعدت عليهم الشقة »

وسيحق على الآخرين قوله الكريم :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا »

وأولئك هم الفائزون

سيد قطب

لقد جاء حسن البنا إجابة طبيعية لقول « غلادستون » حينما وقف فى مجلس العموم البريطانى وهو يحمل « المصحف » ويقول : « ما دام هذا الكتاب باقياً فى الأرض فلا أمل لنا فى إخضاع المسلمين »

.. ودهش الناس يومئذ ! ماذا يقصد « غلادستون » من هذا القول ، فقد كان المصحف موجوداً إذ ذاك .. ولكنه لم يكن موجوداً على الوجه الذى يخشاه «غلادستون»

.. كان الناس فى الشرق قد طوتهم ظلامات القرون . وأفسدت عقائدهم ، أقوال العلماء من صنائع السلطان ، الذين أغلقوا باب الاجتهاد ، وأفتوا لصالح الحاكم الظالم .. فلم يكونوا يفهمون من القرآن إلا أنه كتاب الله .. يقرأونه على القبور وفى الصلاة ..

.. حتى جاء حسن البنا ، على أثر نداء غلادستون ، ليقول للناس ، إن خطر هذا الكتاب الذى يخشاه المستعمرون ، ليس لأنه آيات تقرأ فى الصلاة أو ترددها الشفاه ، وإنما لأنه كتاب تشريع وقيادة ، وإمامة وحكم

وإنما يخشى الغرب روح الإسلام التى لو تبدت ، دبت اليقظة فى أوصاله فأفسد ذلك على المستعمرين أغراضهم.. وقامت فى الشرق أمة تحب الموت فى سبيل الحرية والكرامة والعزة ..

.. وكان حسن البنا هو الرجل الذى أخرجه التاريخ ليكتب هذه الصفحة الجديدة فى تاريخ الشرق الحديث

.. ولذلك نظروا إليه منذ اليوم الأول نظرة الترقب والتوجس والخوف .. وحاولوا أن يصلوا إليه ، أن يصلوا إلى قلبه ، فلما عجزوا وأخفقوا ، آمنوا بأن الأمر سيكون أخطر مما يتصورون، وأن الشرق مقبل على فجر « صادق » يطوى الاستعمار طيا، وأصروا على أن يطول الليل..وأن يذهب الفجر.. ولا يعود..
ترى هل استطاعوا ؟

* * *

وقف الغرب يرقب فى لهفة ، ذلك الرجل الذى جاء ليجدد « دعوة » محمد بن عبد الله .. ومضى يسير على نهجه فى بساطة وأناة .. لا يسبق الحوادث ، ولا يصدم نواميس الكون

الرجل الذى كان يعلم أن مهمته ضخمة .. وأنها أكبر من جهد فرد .. ولكنه كان قوى العزيمة إلى الحد الذى يضفى الثقة على النفس .. فآمن بأنه سيصل

ومضى يعمل ويسهر ويكدح ويجهد ... يقابل الناس، ويتحدث إليهم ، ويخطب فيهم .. ويكتب لهم

ومضى ينفق من صحته ومن أعصابه ، حتى كان اليوم والليلة يضيقان بما يريد .. ومع هذا ظلت أعصابه قوية .. وكان يزداد مع الأيام تألقا

لم يمرض يوما، ولم ينم فى فراش.. كأنما كان جسده محصن ضد المرض، وكان كثير الأسفار ..وكانت الأسفار لا تجهده.. بل كان لقاؤه لأعوانه ، فى كل مكان ، يزيد روحه قوة ، ويفيض على نفسه حماسة وإشراقا

وكان موفقا لا تقف عقبة فى طريقه مهما عظمت

وكان لبقا ، فلم يلتق بإنسان مهما كان كبيرا ، إلا استطاع أن يغلبه ويقنعه ويضفى عليه شعاعا من روحه الوهاج

ولو كان فى مصر يوم بدأت الأحداث لتلافاها ، ولا استطاع أن يطفئ النار قبل أن يزداد لهيبها ..

* * *

وعندما وقعت القارعة انصرف عن الرجل بعض الذين كانوا يلقونه من قبل بالإكبار من ذوى الرأى ... ودخلوا جحورهم ، وخشى كل منهم أن يقف فى وجه الطوفان الذى كانت تدفعه يده ... بل إن بعضهم انضم إلى خصومه ودارى معرفته السابقة له ، بحرب عوان ..

... توارى بعض الذين كانوا يحرصون على أن يكسبوه أو يفيدوا منه .. وهذا شأن الشرق ، يحنى رأسه للرجل الذى يتألق، فإذا انصرف عنه الجاه العريض ، شيعه الناس بالسخرية والاستخفاف ..

والناس من يلق خيرا قائلون له   ما يشتهى .. ولأم المخطئ الهبل

للكلام صلة   أنور الجندى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأصناف والحرف الاسلامية

للدكتور عبد العزيز الدورى

تقديم

إن الناحية الاقتصادية من تاريخ المسلمين ناحية جديرة بالعناية والبحث لفهم ذلك التاريخ وما خلفه لنا من تراث. وهى على خطورتها لم تلق الاهتمام الذى تستحقه، نتيجة حداثة هذا الفرع من فروع البحث التاريخى من جهة، ونتيجة اعتقاد الكثيرين — حتى فى الغرب — بأن ليس لدى المسلمين ما يدرس فى هذه الناحية

ومن طريف نواحى الحياة الاقتصادية تنظيمات العامة وتوجيه العمل فى الحرف والأصناف، فهى دليل حيوية اجتماعية، وظاهرة للشعور بالكيان مع رغبة فى التعاون وإعلاء مستوى الصناعة وشأن أصحابها

وليس لى إلا أن أقدم الخطوط الأساسية، عارضاً فيها ما توصلت إليه ببحثى — خاصة فى نشأة الأصناف والنقابات، ومستفيداً فى نفس الوقت من بحوث من سلف

وخلاصة رأيى الذى أعرضه هو أن تنظيم العمل كان نتيجة لظروف المجتمع الإسلامى، وأن أثر الحضارات القديمة هو فى التراث الاجتماعى العام، وأن أوليات تنظيم العمل جاءت فى اتجاهين: اتجاه سلمى هادئ يتمثل فى تكتل الحرف فى أسواق منفصلة ونموها تدريجاً؛ واتجاه عنيف يتمثل فى حركات العيارين والشطار التى وسمت نفسها بالفتوة. وتلى ذلك اتصال الاتجاهين بدعايات الصوفية والقرامطة وبتشكيلات الفتوة وتطور الكل فى اتجاه شامل

هذا ومن أراد التوسع أمكنه الرجوع إلى بعض البحوث خاصة تلك التى أثبتها فى آخر الحديث

إن تنظيم العمل سواء أكان ذاتيا أم صادرا عن جهة خارجية وثيق الصلة بأهميته فى المجتمع وباتساع نطاقه وبالأوضاع العامة المحيطة به. اجتماعية واقتصادية وسياسية

ولقد كان تنظيم العمل لدى المسلمين ذاتيا قام به أصحاب الحرف ووجهوه فى مصلحتهم، فبدأوا بالتكتل ثم كونوا الأصناف والنقابات وساروا بها خطوات بعيدة. ولكن هذه الناحية من تاريخ المسلمين لا تزال فى إطار الفرضيات لغموض أولياتها، ولورود المعلومات عنها بعد أن قطعت مراحلها الأولى

ويبدأ اختلاف الرأى فى نشأتها؛ فهناك من يرى أن النقابات الإسلامية هى استمرار للنقابات البيزنطية (أو الساسانية) القديمة، فقد كانت فى الهلال الخصيب ومصر نقابات عند الفتح ولا ينتظر أن يقضى العرب عليها إذ أن سياستهم العامة كانت إبقاء التنظيمات القديمة فى البدء على الأقل

وهذا رأى يصعب البت فيه لأننا ليست لدينا إشارات تذكر عن النقابات قبل القرن الرابع الهجرى وهى فى هذه الأخبار تختلف عن النقابات القديمة

ويرى الأستاذ ماسنيون فى بحث له أن الحركة الإسماعيلية هى التى خلقت النقابات الإسلامية وأكسبتها صفاتها المميزة لها. ويعتقد أن النقابات الإسلامية كانت قبل كل شئ سلاحاً شهره الدعاة القرامطة فى كفاحهم لضم الطبقات العاملة فى العالم الإسلامى لتكوين قوة تضرب نظام الخلافة فهم إذن أوجدوا النقابات وسيطروا عليها لاستغلال أصحاب الحرف. (أنظر كتابه عن الحلاج)

ويعطى ماسنيون رأياً أقرب للقبول فى بحثه فى دائرة معارف العلوم الاجتماعية، فيبين أن النقابات نشأت فى البلاد الإسلامية فى القرن التاسع الميلادى، وأنها لم تظهر نتيجة لمطالب الشريعة، بل كانت نموا طبيعيا للتطور الاقتصادى العجيب الذى حصل فى هذه الفترة فى المدن الكبيرة: بغداد أولا ثم البصرة وحلب ودمشق والإسكندرية والقاهرة والرى. ويرى أن التطور الاقتصادى يتمثل فى تمركز رأس المال نتيجة ظهور أصحاب الصارف (الذين كانوا يمدون الدولة بالنقد) وبتمركز العمل نتيجة حملات اضطهاد الرقيق الاستعمارية التى كان يمولها أصحاب الصارف.

ثم يبين أن الأصناف الإسلامية كانت لها مميزاتها منذ البدء ومع أنها كانت متأثرة بالنقابات المحلية القديمة بيزنطية وساسانية إلا أنها لم تكن مجرد بعث لتلك ؛ بل كانت بالأحرى مظهر رد فعل اجتماعي عنيف لجماعات العمال وأهل الحرف والفلاحين ضد الطبقة الحاكمة التي جمتهم واستعبدتهم . وينتهي إلى أن تاريخ النقابات وثيق الصلة بالحركة القرمطية التي تمثل ثورة اجتماعية اقتصادية دينية سياسية زلزلت العالم الإسلامي بين القرن التاسع والقرن الثاني عشر والتي تطورت ووسمت التنظيم النقابي

ويذهب الدكتور لويس إلى أن هيكل النقابات الإسلامية موروث من العالم اليوناني الروماني ، مع أنه يبين أنه لا يستطيع تحديد أصول تشكيلات النقابات وفيما إذا كانت بيزنطية أم لا .

ثم يرى أن الحركة القرمطية لعبت دوراً كبيراً في تطور النقابات وتركت أثراً عميقاً في تشكيلاتها . ويذهب الدكتور لويس إلى تأييد الملاحظة الأخيرة ببعض الشواهد . فهناك اهتمام الإسماعيلية الخاص بالحرف وتخصيص فصل كامل في رسائل إخوان الصفا التي يتمثل فيها الميل الإسماعيلي لموضوع العمل . فتقول الرسائل إن بعض الناس ، « لا يعمل ولا يتعلم لكسله وثقل طبيعته عن الحركة ويرضى بالذل والهوان في طلب معاشه كالمكدين السؤال . وأما من استولى عليه القمر فإنه لا يعمل من أجل مهانته واسترخاء طبيعته وقلة فهمه مثل النساء وأمثالهن من الرجال » وهذا تمجيد واضح للعمل

ويذكر تأييداً آخر في رأيه وهو أن النقابات كانت مضطهدة ومقيدة بقيود لا تعد في الخلافة العباسية وخاضعة لمراقبة المحتسب الذي كانت مهمته الأساسية (في رأيه) قتل أية محاولة للعمل المستقل فيها في بدئها . بينما كانت النقابات مرفهة وتتمتع برخاء عظيم ولها كيان حسن وامتيازات كبيرة عند الفاطميين

ويعتقد لويس بوجود آثار إسماعيلية في تنظيم الأصناف مثل فكرة المهدي المنتظر وفكرة التنشئة المتدرجة وضم أفراد من طوائف مختلفة في النقابة الواحدة

ولكن التدقيق في بحوث من ذكرنا يشير إلى أن الأوليات لم تبحث كما يجب ولا بد من توضيح الجذور قبل بحث التنظيم

لقد كان في المجتمع الإسلامي صنفان من العمال : الأحرار والرقيق . أما الأحرار فهم أصحاب الصناعات في المدن ويلحق بهم أهل الحرف البسيطة كالزبانين والقصابين وهؤلاء يكونون جمهور الطبقة العاملة

وكان مورد العمال بسيطاً آنئذ ويصف حالهم أبو الفضل الدمشقي «وأما الصنائع العملية وهي المهن فقد قيل قديماً : الصناعة في الكف أمان من الفقر وأمان من الغنى . وذلك أن الصانع بيده لا يكاد كسبه يقصر عن إقامة ما لا بد له منه ولا يكاد كسبه يتسع لإقامة ضيعة أو عقد نعمة . » ويقول « وأيضاً فإنه مع ذلك إذا ميز الناس دخل في أدون طبقاتهم »

أما طبقة العبيد فهي أوطأ طبقة وهي تشتغل في الحقول أو البيوت وأحياناً في الجيش

وليس قلة مورد العمال بالأمر الجديد ولكن تطورات اقتصادية حصلت ؛ فالمجتمع انتقل من طور زراعي إقطاعي في العصر الأموي إلى طور تجاري زراعي في العصر العباسي . وقد أدى توسع التجارة إلى تضخم رؤوس الأموال وإلى الزراعة الكثيفة وإلى توسع الصناعة وإنشاء المعامل الكبيرة

وإنا نشهد ظهور طبقة رأسمالية تضم كبار التجار وأصحاب المعامل وكبار الموظفين . وزاد في قوة هذه الطبقة وتوسيع فعالياتها ظهور طبقة من أصحاب المصارف الذين هم تجار في الأصل أخذوا يتاجرون بالنقود

ثم نلاحظ بسبب توسع المعامل وبسبب الزراعة الكثيفة تجمع العمال وتكتلهم أكثر من قبل حتى صرنا نرى الألوف يشتغلون في محل واحد أو بقعة واحدة . وهذا قوى الشعور بالمصلحة المشتركة وبالأهمية بقعة واحدة . وهذا قوى الشعور بالمصلحة المشتركة وبالأهمية والقوة . ولا بد أن نشير هنا إلى فكرة وضع الحرف والأصناف في أماكن معينة لكل جماعة سوقها وهذه واضحة في تخطيط بغداد عند بنائها وفي تنظيم القيروان وفي بناء سامراء . وهذه الفكرة الطبقية هي فكرة موروثة وإن كان للمجتمع القديم قبل الإسلام من أثر فهو في تخليد هذه الفكرة . وهناك ما يشير إلى حصول ارتفاع في مستوى المعيشة وغلاء في الأسعار في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث

الهجري دون حصول ارتفاع مقابل في الأجور . يضاف إلى ذلك الفوضى العامة التي أحدثتها سيطرة الجند الترك مما عرقل الأعمال الحرة وأضر بأصحاب الحرف قبل غيرهم . فأثر ذلك في خلق البطالة وروح التمرد والنقمة خاصة على الطبقات الغنية والحاكمة

وبعد ملاحظة هذه الأسس نستطيع ملاحظة موقف الحرف وأصحاب المهن

وتشير البوادر الأولى إلى اتجاهين في التنظيم الأول : تنظيم داخلي سلمي فيه حاول العمال تنظيم أنفسهم فترى لكل حرفة سوق ورئيس تختاره الحكومة . ونلاحظ وجود تدرج في الحرفة فترى طبقتين : الأساتذة والصناع . وهذا واضح منذ النصف الأول للقرن الثالث الهجري . ولا يوجد ما يشير إلى اضطهاد الحكومة للعمل في هذه الفترة ؛ بل إن الحكومة كانت تراقب حركات الأعراب الذين يرتادون الأسواق لأسباب سياسية.

ويجدر بالذكر أن وظيفة المحتسب لم تظهر إلا بعد انتهاء الفترة الأولى للفوضى التركية . إذ أن أول إشارة لوظيفة المحتسب تعود لخلافة المعتضد (٢٧٩ — ٢٨٩) . وإن نظرنا إلى مناشير الحكومة في القرن الرابع الهجري (حتى بعد انتشار الدعاية القرمطية) نراها تجعل عمل المحتسب منع الغش في الصناعة والإنتاج ومنع الحيلة والتدليس في المعاملات والتأكد من صحة الموازين والمكاييل

ولكن يظهر أن الدعاية القرمطية أثرت في قسم من العمال خلال القرن الخامس الهجري وأواخر القرن الرابع الهجري وتوجد بوادر تشير إلى اتهام بعض فعالياتهم

والاتجاه الثاني كان اتجاهاً عنيفاً يدعو للثورة على أصحاب الأموال والخروج على السلطة وهذا يظهر في تكتلات العيارين والشطار . وأول إشارة وصلتنا إلى هذا التكتل وردت في التنوخي وتعود للقرن الثالث وفيها نلاحظ شعائر الجماعة واضحة ؛ فلهم ناد خاص سري يجتمعون فيه وشعارهم من الملابس نشر الإزار على الكتف ولف المئزر في الوسط ؛ كما أن الانتماء يتم بمراسيم أبرزها شد المئزر وشرب كأس من النبيذ . وكان أعضاء الجمعية يعملون ويسرقون أحياناً ويقتسمون الأرباح وعلاقتهم عدائية مع الحكومة . وكان هؤلاء يسمون أنفسهم الفتيان . ويجلب الانتباه أن العيارين والشطار كانوا يدعون أنفسهم بالفتيان

ظهر هذا التنظيم في مجتمع مادي . ومما زاد في قوة التكتل وشدته الدعايات الاجتماعية التي جاءت باسم الدين ولكنها ساعدت على تحسين الحال وتغيير الأوضاع الاجتماعية . وتجلت في حركة الزنج وبصورة أقوى في حركة الإسماعيلية والقرامطة الذين تطرفوا في استغلال التذمر فقالوا بأن الأنبياء والسلاطين أنزلوا العامة إلى مستوى العبودية الاجتماعية والشقاء المادي ، وأعلنوا أنهم يريدون إرجاع العدل الاجتماعي وتحقيق الرفاه المادي . وهناك إخوان الصفا وهم جمعية سرية إسماعيلية الميول اشتغلت ضد الخلافة وسعت لتهذيب العامة لتجعل ذلك وسيلة لإحداث ثورة سياسية دينية عامة .

ويظهر أن الطبقة العامة في العراق على الأقل لم تبق راكدة بل حاولت تحسين كيانها وتأثرت بالدعايات ، فبعضهم انضم لحركة القرمطية ولحركة الزنج في ثورات عسكرية دامت نصف قرن ، والبعض الآخر سعى بطرق علمية تعاونية لتحسين الوضع وكان لفوضى الجند التركي أثر مباشر في ذلك

ويظهر أيضاً أن حركة أصحاب الحرف التي ظهرت لدى العيارين والشطار والفتيان تأثرت بالاتجاهات الصوفية في القرن الخامس الهجري وأواخر القرن الرابع الهجري ، فنجد القشيري يشير إلى خلق سام للفتوة فيه إطاعة الشريعة والرأفة بالناس والعفو عن المسيء والكرم حتى مع المشركين والأمانة والصدق والتواضع ، ويفهم من القشيري أن حركة الفتيان انتشرت في العراق والشام وإيران ، وأن لها أتباعاً من الطبقة المتوسطة إضافة إلى الطبقة الفقيرة

ولا يخفى أن الصلة بالصوفية حصلت في دور لا تزال الدعاية الإسماعيلية فيه قائمة ، وهذا يجعل من الصلابة بمكان قبول رأي لويس من أن النقابات تحرج وضعها بعد اختفاء الحركة القرمطية وأنها لذلك اتجهت نحو ميول دينية كالتصوف. فنشاط الصوفية كان موازياً للنشاط الإسماعيلي

ويظهر أن الفتوة تأكدت فيها الناحية العسكرية تدريجاً. وقد انتشرت تشكيلات الفتوة في جميع البلاد الاسلامية خلال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زكي مبارك

الأديب الذي أحب العراق

للأستاذ نجدة فتحي صفوة

سيسأل قوم من زكي مبارك   وجسمي مدفون بصحراء صماء
فإن سألوا عني فني مصر مرقدي   وفوق ثرى بغداد تمرح أهوائي

لم تكن خسارة الأدب العربي في وفاة الدكتور زكي مبارك — رحمه الله — هينة، ولا بالتي يمكن أن تعوض

وقد قال الأستاذ الزيات في رثائه الرائع للمرحوم المازني «.. فإذا أضيف إلى ذلك أن المازني كان أحد الكتاب العشرة الذين يكتبون لغتهم عن علم، ويفهمون أدبها عن فقه، ويعالجون بيانها عن طبع؛ وأن هؤلاء العشرة البررة متى خلت أمكنتهم في الأجل القريب أو البعيد، فلن يخلفهم في هذا الزمن الثائر الحائر العجلان، من يحمل عنهم أمانة البيان، ويبلغ بعدهم رسالة الأدب، أدركنا فداحة الخطب الذي نزل بالأمة العربية يوم توفي هذا الكاتب العظيم» (١)

وهذا كاتب آخر من أولئك «العشرة البررة» فقدته اللغة العربية يوم فقدت المجاور الأزهري، والناقد الألمعي، والباحث المتعمق، والشاعر المتغزل، ربيب سنتريس، وحبيب باريس، وطبيب ليلى المريضة في العراق، (الدكاترة) زكي مبارك!

ولا ريب أن أدب زكي مبارك سينال ما يستحقه من دراسة الباحثين وعناية المؤرخين، ويحتل مكانه اللائق به بين أدباء جيله، واترك لأصدقاء زكي مبارك أن يرثوا الصديق الوفي، ولتلاميذه وعشاق أدبه أن يدرسوا الكاتب البليغ، ولزملائه ومعاصريه أن يترجموا للفلاح الذي دفعه جده وطموحه من القرية إلى الأزهر، ومن الأزهر إلى الجامعة، ومن القاهرة إلى باريس، ومن الخمول إلى الصف الأول بين أدباء هذا الجيل ..

وإنما هذه تحية من عراقي إلى الأديب المصري الذي أحب العراق، فأحبه العراقيون، ومنح هذا البلد قطعة من قلبه، وجانبا من أدبه، فبادله أهله المحبة والإعجاب، وقابلوه بالرعاية والإكرام ..

تحية وفاء إلى تلك الروح اللطيفة المرفرفة فوق بغداد ..

ترجع صلة الدكتور زكي مبارك بالعراق إلى عهود دراسته الأولى يوم عني بالأدب العباسي وشغل نفسه أعواما طويلة بأدباء العراق، فبعثت هذه الدراسة في نفسه محبة العراق، واسترعى تاريخه الحافل تفكيره وألهب خياله. وقد خاطب العراقيين ذات مرة في بعض محاضراته العامة قائلا: «وأنا في الواقع تلميذ بغداد قبل أن أكون تلميذ القاهرة أو باريس، فإن رأيتم صراحتي فلا تلوموني، فاللوم على أسلافكم الذين شرحوا مذاهب العقل والمنطق»

حتى إذا دعي — رحمه الله — إلى التعليم في دار المعلمين العالية ببغداد سنة ١٩٣٧ رحب بذلك قائلا: إن من العقل أن أعرف جوانب من الشرق بعد أن عرفت جوانب من الغرب. وصح عندي أن الهجرة إلى العراق قد تشرح دقائق الأدب في

(١) الرسالة. العدد ٨٤٥ الصادر في ١٢ سبتمبر ١٩٤٩

القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد. وصارت جمعية الفتوة وخاصة بعد أن تبناها الناصر لدين الله مجموعة فتيان يربطهم دستور ديني أخلاقي له واجبات وشعائر منظمة، وينتظر منهم التحلي ببعض الفضائل والقيام بخدمة عسكرية للإسلام

وبعد الفتح المغولي زادت صلة الفتوة العسكرية بالطرائق الصوفية وبنقابات الحرف. وقد بدأ ذلك في الأناضول وانتشر في العالم الإسلامي حتى صارت كلمتا (نقابة) و (فتوة) تشيران إلى مدلول واحد، وقد لعب هذا الاتجاه دوراً خاصا في تطور التاريخ الإسلامي العام

ولابد هنا من ذكر الآراء عن نشأة الفتوة؛ فالأستاذ تيشنر يرى ثلاثة أدوار للفتوة تمثل خطوات انحلال اجتماعي مطرد. فهو يرى أن حركة الفتوة بدأت كحركة فروسية أرستقراطية، ثم تحولت فصارت حركة الطبقة المتوسطة في القرن الثالث عشر الميلادي وأخيرا هبطت في القرن الخامس عشر إلى أكثر من ذلك وأصبحت حركة العوام، وهكذا اندمج الفتيان بنقابات الحرف

ويرى تورنبخ أن الصوفية والنقابات لم يضموا جمعيات الفتوة بل قلدوها مقتبسين شعائرها ومثلها العليا وأخيراً اسمها

للكلام بقية   عبد العزيز الدوري

العصر العباسي ، وليس من المقبول أن يصح لمثلي أن يصف باريس من علم ، ويصف بغداد عن جهل

وشد رحاله إلى بغداد ، فكان لمصر فيها سفيرا أدبيا ممتازا ، وأحدثت زيارته فيها حركة أدبية ونشاطا فكريا بما كان يبثه قلمه — على عادته أيان كان — في صحافة العراق ومجتمعاته وأنديته من حيوية وحركة . « وما هي إلا أشهر قلائل » كما يقول « حتى كنت على صلات بمختلف الطبقات في بغداد ، وحتى صححت لنفسي أخطاء كثيرة في فهم الأدب والتاريخ »

قضى زكي مبارك في العراق تسعة أشهر حافلة بالعمل زاخرة بالإنتاج ، ولم يقف نشاطه في حدود عمله الرسمي ، أو دروسه في دار المعلمين العالية ، وإنما تجاوزه إلى تأليف ستة مجلدات عن العراق (٢) وكتابة مئات المقالات ، وإلقاء عشرات المحاضرات .

وقد عني — رحمه الله — بشؤون العراق الفكرية والثقافية عناية عظيمة ، فدرس الأدب العراقي عن فهم وروية ، وكتب عن المرأة العراقية ونهضتها ، وتبنى فكرة إنشاء الجامعة العراقية ، وتحمس لها أكثر من العراقيين ، ودعا إليها في كل مناسبة — وأحيانا بدون مناسبة أيضا — ولعله كان أول من دعا لها ووجه إليها أنظار المسؤولين ، وحملهم على التفكير الجدي فيها .

وتطوع — رحمه الله — لتصحيح ما كان خاطئا من الآراء والمعلومات عن العراق في البلاد العربية ، فكان على قوله « من صور العراق في مصر ، ومن صور مصر في العراق » وكان رسول الأخوة العراقية المصرية ، أدى بقلمه مالا تؤديه سفارات ولا معاهدات ، قال في المصريين — وهو شاهد من أهلها — : « إن المصريين يفدون إلى العراق وليس في صدورهم ثروة غير الحب ، ومن أجل هذا يحبهم العراقيون ، فإن سمعتم أن مصريا شقي في العراق فاعلموا أنه مصري مزيف »

كما قال في أهل العراق — وهو الخبير العارف بهم — « إن العراقيين يحبوننا أصدق الحب ، فليعرفوا جيدا إننا نحبهم ونتمنى لهم كل خير ، وننظر إلى بلادهم نظر الأخوة الصادقة التي لا تضمر غير العطف والصدق »

(٢) وهي « ليلى المريضة في العراق » في ثلاثة مجلدات و « وحي بغداد » و « ملامح المجتمع العراقي » و « عبقرية الشريف الرضي »

وطلب إليه أن يلقي في بغداد محاضرات أدبية عامة ، فاختار لموضوعها شاعرا عراقيا إكراما للعراق ومجاملة لأهله ، ولما رآه من شبه بين شخصية الشريف الرضي وشخصيته في تدفق الإحساس وكآبة العاطفة وغدر الزمان ، فأدى بذلك خدمتين جليلتين ، الأولى للأدب العربي ، إذ أحيا ذكرى هذا الشاعر العظيم الذي لم ينل شعره ما يستحقه من عناية ودراسة . والثانية للعراق لما جره الحديث من ذكر العراق ووصفه وتاريخه .

وكان — رحمه الله — بما عرف عنه من اندفاع الشعور وحدة العاطفة ورقة الطبع قد درس الشريف الرضي ودعا الناس إلى دراسته ودلهم على مواطن العبقرية والعظمة في شعره . ولكنه كان أول من صدق أقواله فيه ، وزادته دراسته للشريف الرضي إعجابا به ، حتى قال عند تقديمه المحاضرات مجموعة في كتاب ، على طريقته المعروفة : « إن الشريف الرضي في كتابي ، أشعر من المتنبي في أي كتاب ، ولن يكون المتنبي أشعر من الشريف إلا يوم أؤلف عنه كتابا مثل هذا الكتاب ! »

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

وفي بغداد نظم قصيدة ألقاها في (نادي القلم العراقي) يقول إنها أعظم ما نظم في حياته عنوانها « من جحيم الظلم في القاهرة إلى سعير الوجد في بغداد » ومطلعها

وفدت على بغداد والقلب موجع
فهل فرجت كربي وهل أبرأت دائي ؟

وقال — رحمه الله — في « وحي بغداد » :

« وأخشى ألا أظفر بكلمة رثاء يوم يشيعني الناس إلى قبري ، فذاكرة بني آدم ضعيفة جدا ، وهم لا يذكرون إلا من يؤذيهم ، أما الذي يخدمهم ويشقى في سبيلهم فلا يذكره أحد منهم بالخير إلا وفي كلامه نبرة تشير إلى أنه يتصدق بكلمة المعروف »

كلا يا صديق العراق ومحبه !

فلن ينساك العراقيون ، وهم إن ذكروك لم يحسنوا إليك ، وإنما أحسنوا إلى أنفسهم ، ولم يتصدقوا بكلمة المعروف ، بل ردوا دينا لك في أعناقهم . وإنك لم تعد الحق يوم قلت :

« وستمر أجيال وأجيال ، ولا ينسى أهل بغداد ، أن مدينتهم عاش فيها رجل أحبها أصدق الحب ، اسمه زكي مبارك »

القاهرة — نجدة فتحي صفوة

بحث فى الموسيقى الشرقية

للأستاذ نقولا الحداد

بقية ما نشر فى العدد الماضى

السلم العربى

ذكرت آنفا أن لكل لحن من الألحان العربية سلما خاصا ولكن لها سلما عاما أصيلا تتفرع منه درجات أنصاف ودرجات أرباع . وهذه الأنصاف والأرباع تستعار من الدرجات الأصيلة بالضغط على الوتر بالإصبع، أو باستعمال « البكاة » فى القانون التركى، أو باستعمال ضغط الإصبع ، أو بدوزنة القانون دوزنة خاصة حسب اللحن المراد . وهذا ما يجعل الموسيقى العربية ممتازة على الموسيقى الغربية بحيث تصدر الألحان المختلفة محاكية الانفعالات النفسانية . الأمر الذى ليس له مشابه فى الموسيقى الأفرنكية . وتشترك معها فى هذه المزية الموسيقى التركية . وربما كانت الموسيقى اليونانية أميز منهما فى هذا القبيل لأن فى سلمها ⅓ و ⅔ من الدرجة علاوة على النصف والربع كما يقال

والموسيقى العربية اقتبست كثيرا من الموسيقى التركية وهذه من اليونانية الأصيلة المسماة «البيظنطية» وفى ألحاننا العربية كثيرا من الروح البيظنطية . ويقال إن المرحوم السيد درويش الملحن المظيم كان يختلف كثيرا إلى الكنائس الأرثوذكسية لكى يسمع البصلطيكا اليونانية أى البيظنطية لكى يقتبس منها العبارات الموسيقية الجيلة أو المؤثرة أو الحنونة . وفى أدواره التى سجلها لنفسه فى أقراص الفونغراف كثير من الروح البيظنطية

السلم العربى (والتركى أيضا) أدق السلالم الموسيقية فى كل العالم لما فيه من أنصاف الدرجات وأرباعها ، يقتبس منه العازف بدل درجاته الأصيلة حسب مقتضى اللحن الذى يعزفه

ولإيضاح ذلك نرسم السلم العربى فى درجاته وفروعها (الأنصاف والأرباع) كما ورد فى كتاب الأستاذ فرج الله وردى الذى نحن بصدده صفحة ١٥٣ مع مقارنته بالسلم الأفرنكى

	امتزازات	ذرات	
دو	١٢٠٠	١٢٠٠	كردان
	١١٥٠	١١٦٧	ماهور
سى	١١٠٠	١١١٠	نم ماهور
	١٠٥٠	١٠٨٦	أوج
	١٠٠٠	٩٩٦	عجم
	٩٥٠٠	٩٧٢	نم عجم
لا	٩٠٠	٩٠٦	حسينى
	٨٥٠	٨٨٢	تك حصار
	٨٠٠	٨١٦	حصار
	٧٥٠	٧٩٢	نم حصار
صول	٧٠٠	٧٠٢	نوى
	٦٥٠	٦٧٨	تك حجاز
	٦٠٠	٦١٢	حجاز
	٥٥٠	٥٨٨	نم حجاز
فا	٥٠٠	٤٩٨	جهاركاه
	٤٥٠	٤٧٤	بوسلك
مى	٤٠٠	٤٠٨	نم بوسلك
	٣٥٠	٣٨٢	سيكاه
	٣٠٠	٣١٨	كردى
	٢٥٠	٢٩٤	نم كردى
رى	٢٠٠	٢٠٤	دوكاه
	١٥٠	١٨٠	تك زركوله
	١٠٠	١١٤	زركوله
	٥٠	٩٠	نم زركوله
دو	الوتر المطلق		رست أورصد

ولا أفهم لماذا لا يكون عدد امتزازات الدرجة الأولى من السلم الأعلى مضاعف امتزازات الدرجة الأولى من السلم الأسفل . أعنى أن تكون امتزازات « دو » العليا (كردان) مضاعف امتزازات دو السفلى لأن تلك بداية السلم الأعلى . وهى فى الجدول ليست كذلك لأن العليا جواب للسفلى وهذه قرارها .

لكن الأمر على خلاف ذلك بل هو بعيد جدا من هذا الظن

وفى كتاب الأستاذ الله ويردى ستون رسما وجدولا للسلالم الموسيقية المختلفة الغربية والشرقية والقديمة والحديثة . وفيه تحقيق علمى للنسب المتصلة الموسيقية وعلاقتها بالأنغام وغيرها حتى إذا طالعتها دهشت لسعة اطلاع المؤلف وسعة تفكيره ودراسته وتحار فى كيفية استيعابه لها، ولا تكاد تصدق أن عقلا واحداً حذق تلك العبارات المختلفة واستخرج تلك الأرقام حتى ليخيل لك أن الموسيقى ضرب من العلوم الرياضية . وأنها لكذلك فى دراسة هذا الكتاب الساحر

الجمال الموسيقى :

وربما كان القسم الرابع من الكتاب أجذب الأقسام لنفس القارئ المحب للفن لأنه تبسط واسع فى الجمال الموسيقى . فأستأذن حضرة المؤلف بكلمة مختصرة أبسط بها ذلك التبسط

قلنا آنفا إن مزية الموسيقى العربية (والتركية أيضا) هى فى أجزاء هذه الدرجات من أنصاف وأرباع لأن لكل لحن طريقة خاصة فى استعمال هذه الأجزاء . مثال ذلك أن العازف الذى يعزف لحن النهاوند يستعمل (راجع الجدول) نم حجاز بدل جهاركاه، ويستعمل كردى بدل سيكاه ، ثم دوكاه الأصيلة إلى أن يستقر على الرست (وقد أكون مخطئا فى هذا الترتيب) وهكذا لكل لحن استعارات خاصة من الأجزاء . فإذا عزف العازف هكذا ثم عزف على الدرجات الأصيلة جهاركاه سيكاه دوكاه رست شعرت حالا بالفرق فى اللحن لأنه فى هذه الحالة يكون اللحن رستا لا نهاوند . وهكذا بتنوع الألحان العربية يتنوع العزف على الأرباع والأنصاف بدل الدرجات الأصيلة ، وبواسطة هذه الاستعارات يتولد عند العرب عشرات الألحان وهى التى تحكى العواطف الروحية المختلفة . وليس فى الموسيقى الأفرنكية إلا القليل من هذه التنوعات لاستعمال أنصاف الدرجات (أو مايسمونه هكذا وماهو بأنصاف) كما رأيت، ولذلك تعتبر الموسيقى العربية أرق وأجمل بكثرة التنوعات التى فيها . ولا بدع أن تكون كذلك لأن أقدميتها صقلتها وجعلت التفنن فيها بدائع فنية ككل تطور وارتقاء . والموسيقى الأفرنكية بنت الأمس ، ويظن أصحابها أن الاقتصاد فيها على أشباه الأنصاف وتقييدها بالعلامات جعلها فنية راقية ، وعندى أن هذا التقييد جعلها سخيفة فى أذن الشرق . الموسيقى روح لامادة، فيجب أن توضع تحت أمر الأذن (العصب السمعى) كما يفعل العازفون العرب ، فتكون أوقع فى النفس وأكثر اندماجا بالروح وأخلب للب

أما الذين يستحبون هذه دون تلك أو تلك دون هذه فأوتار أعصابهم السمعية قد تدوزنت على سلالم ألحانهم فصارت تهتز مع اهتزازات موسيقاهم وتنفر من اهتزازات الموسيقى الأجنبية .

فهؤلاء مخطئون فى استهجان موسيقى غيرهم والعكس بالعكس . وإذا كان الشرقى أو الغربى لا يود أن يسمع إلا موسيقاه فلا تلمه إذا قال لك إن موسيقاه أطرب من تلك أو أن الموسيقى الأجنبية أطرب له من موسيقاه لأنه تعود سماع الموسيقى التى تطربه منذ صغره . فهناك أشخاص لا يتذوقون الفن ولا يفهمون أصوله ولا يطربون لأى موسيقى ، فيقولون لك إن الموسيقى الأفرنكية ذات أصول وقواعد وفنون ولذلك يحبونها، والحقيقة أنهم لا يحبون شيئا . ويقولون أيضا إن الموسيقى العربية أو الغناء العربى عار من الأصول والقواعد والأغانى لأن الأغانى كلها فوضى . هؤلاء جهلاء أغبياء جدا وإنما هم يقولون هذا القول لكى يتمسحوا بالأفرنج ويقال عنهم إنهم متمدنون .

ولما كان السلم الأفرنكى لا يطابق السلم العربى حتى فى درجاته الأصيلة فيتعذر جدا على العازف أن يعزف لحنا عربيا على آلة أفرنكية مقيدة الدرجات كالبيانو والأرغن وأمثالها . فإذا عزف عازف عليها لحنا عربيا ظهر ناشزا حتى إنك لا تستطيع أن تسمعه إذا كنت قد ألفته على الآلة العربية كالعود والكمنجة والقانون . لا تستطيع أن تعزف أذان الصلاة على البيانو أو نحوه وتشمئز إذا سمعته؛ ولكن إذا سمعت الأذان من كمنجة الأستاذ سامى الشوا شعرت أنه ناطق بكلامه

وكانت فتاة لبنانية تدرس موسيقى فى إيطاليا (حسب السلم الأفرنكى طبعا) فغنت مرة سوريين أغنية بسيطة لبنانية على السلم الأفرنكى فلم يطق أحد سماعها لأنها كانت تنفق العربى على السلم الأفرنكى . وهناك أناس يستنكرون تكرار الكلام والتلحين بالغناء العربى . فهؤلاء محقون فى استنكارهم وربما كان

هذا التكرار هو العيب الوحيد فى الغناء الدارج المصرى. والذنب فيه هو ذنب المثنين أنفسهم لا ذنب الملحنين . لأن الملحن قد يكرر عبارة ولكنه لا يكرر لحنها وإنما يلحن لتكرارها لحنا آخر . ومع ذلك لا نعذره كل العذر لأن الشعر عندنا سواء كان معربا أو زجلا غنى بالكلام فلاداعى لقضاء نصف ساعة أو أكثر فى غناء أغنية كلامها معدود الألفاظ إلا إذا كان الكلام المكرر متنوع الألحان . سمعت مرة فى الإذاعة المصرية مغنيا ينشد قصيدة « نالت على يدها ما لم تنله يدى » فقضى حصته فى الإذاعة فى إنشاد الأربعة الأبيات الأولى وكان يكرر كل بيت منها بكلامه ولحنه مرارا حتى زهقت وأعتقد أن جميع السامعين زهقوا أيضا . والقصيدة تشتمل على أكثر من عشرة أبيات فكان فى وسعه أن ينشدها كلها وأن يتفنن فى ألحانها أو أن يعتمد على ملحن خاص يلحنها له

الموسيقى والشعر :

وربما كان الشعر العربى يمتاز على أشعار معظم الأمم الأخرى ولاسيما الافرنكية لأنه موزون وذو مقاطع معدودة ومحدودة فى كل بحر من بحوره . ووزن الشعر العربى يتفق مع الألحان الموسيقية اتفاقا طبيعيا لأن الشعر موسيقى والموسيقى شعر . ولهذا أفرد الأستاذ الله ويردى قسما من كتابه العجيب فصلا خاصا مطولا للعروض . بحث فيه بحثا فلسفيا ثم علميا مستفيضا وضبط جميع الأوزان العروضية وتفعيلاتها وشرح قواعدها شرحا علميا عجيبا. فننصح لمن يريدون درس العروض أن يطلعوا على الفصل السادس من الكتاب فى التوزين والإيقاع بل أن يدرسوه درسا

بقيت لى ملاحظة طفيلية أرجو أن يغتفرها لى حضرة الأستاذ المؤلف وهى أنه ورد فى مباحث الكتاب بعض اصطلاحات خاصة بالموسيقى . مثل ذرة وكوما وليما وبعد طبيعى وبعد طنينى وجناحان إلى غير ذلك مما هو من خصائص العلم الموسيقى وهى غير مفسرة فى الكتاب التفسير الذى يحتاج إليه الدارس . وكان جديرا بحضرة الأستاذ أن يضع لهذه الكلمات معجما فى آخر الكتاب أو فى أوله مستوفى الشرح يرجع إليه الدارس كلما وردت أمامه كلمة منها إلى أن يستوعبها تماما . وحبذا لو كان يضع الموسيقى كتابا تعليميا مدرسيا يقلل فيه جداول الأرقام للطلبة الذين يريدون أن يتعلموا الفن حسب الأصول والقواعد

وأخيرا إنى متعجب جدا من جلد الأستاذ ومقدرته على إزكان هذا الفن من الناحية العلمية ولا سيما النسب الرياضية وغيرها، ولاأظن أحداً غيره درس هذه الدراسة المستفيضة

حقا أنه يستحق جائزة نوبل إذا أمكن أعضاء لجنة نوبل الاطلاع على ترجمة هذا الكتاب

نقولا الحداد

دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجمل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة . . . الخ .

من فصوله المبتكرة : الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابى المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك . . . الخ

يقع فى ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد

٣ ـ لغة المستقبل ..

للاستاذ محمد محمود زيتون

تحية علمية إلى البرلماني الفيلسوف أستاذي الدكتور إبراهيم بيومي مدكور بك عميد الفلسفة الإسلامية بجامعة فؤاد الأول سابقا ، وعضو مجلس الشيوخ ، وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

تبين لنا في المقال السابق أن المنهج الرياضي لا يتناول غير موضوعات الرياضة البحتة بفرعيها : الحساب والهندسة . وإلى هنا يقف المنهج الرياضي. وتقام السدود من دونه في سائر العلوم ، ومن ثم يحل محله الروح الرياضي

فالرياضي إذا اكتشف قانونا ، لن تزل قدماه حتى يقنعنا بالصلة التامة بين قانونه الجديد وباقي البدهيات المسلم بها ، أما الفيزيقي ، فإنا لانطالبه — في حالة ما إذا صح الله واكتشف قانونا — بأ كثر من أن يربطه بنظرية متعارف عليها ، وإذن ما أثقل العبء الملقى على عاتق الرياضيين

والفيزيقي — من جهة أخرى — يبحث عن مسائل جديدة يحدها بآلات معمله ويربطها ويعدلها حسب الحاجة ، أما الرياضي فإنه يتحسس السبيل إلى بصيص من موهبة الإبداع ليصور مسائل جديدة يستطيع بمنهجه أن يتدخل فيها ، هذه الموهبة انفرد بها كثير من المحدثين ، وبلغت أقصاها عند « أرشميدس » كما يقول Zanther

كما أن « الرياضي والفيزيقي يستعملان القياس ، غير أن الفيزيقي تظل نتائج قياسه موضعا للنظر ويعوزها التحقيق » هكذا يقول العلامة الفيلسوف (كلود برنار Claude Bernard) (١)

وإذا كانت العمليات الحسابية تدخل في الميادين الأخرى ، فإن هذه العلوم المطعمة بالرياضة ، والعلوم التطبيقية أو الصناعات تختلف منهجا لاختلافها موضوعا

أما العلوم التي تتناول الوسط بين الفيزيقا والرياضة فإنها تستخدم منهجا هو مزاج من المنهج الرياضي والمنهج التجريبي .

وإذا كان مجرد الانتقال من الهندسة البحتة إلى الهندسة التحليلية كفيلا بتغيير المنهج الذي لا يعود بعد ذلك محتفظا بخواصه البرهانية الحدسية الأولى — كما يقول أستاذنا المرحوم المسيو (لالاند)(٢) فكيف إذا انتقلنا من ميدان إلى آخر

فالعلوم تختلف موضوعا ومنهجا ، وليس ذلك بمانع من أن يكون سير الاختراع في جميعها واحدا لا يتغير — كما يقول (تانري Tannerey)(٣)

وإذا كان للرياضة أن تنفرد من حيث الموضوع بمثاليتها التي تتعالى بها على العلوم الأخرى في واقعيتها ، فإن لها أن تنفرد بالمنهج البرهاني في مقابل المنهج التجريبي الذي تسلكه الفيزيقا

في الفيزيقا نرى أكثر القوانين إن هي إلا معادلات جبرية فقد فسر (براون) الحرارة بتوزيع الذرات حسب متوالية هندسية عرفت في الوسط العلمي باسم « الحركة البراونية » وكذلك قانون الضغط وقانون الطفو كلاهما معادلات جبرية ، وكلاهما إدراك سليم للنسبة بين متغيرين ، تلك النسبة التي أدركها العقل بالحدس لا بالتجربة

ومع ذلك نرى العلماء يختلفون في تفسير الظاهرة الفيزيقية اختلافا يذهب بأحدهم شرقا وبالآخر غربا ، فهذه ظاهرة الضوء : يفسرها (نيوتون) حسب النظرية الشيئية ويربط رأيه ببدهيات ينقضها (ويجانز) و (فرنل) إذ يفسران الضوء بالتداخل والاستقطاب ، ثم يأتي من بعدهم من يفسره بالنظرية الأثيرية

وفي الكيمياء ، ظل العلماء ردحا من الزمن يعتبرون العناصر عددا يعد على الأصابع ، وبتقدم البحث أوصلوها إلى أكثر من تسعين ، وما كان لهم أن يصلوا إلى هذا إلا بواسطة التحليل ، فاستطاعوا أن يضعوا قوانين المزج والتركيب الكيميائي في صور معادلات جبرية وثيقة يعتمدها العقل

وفي العلوم الكونية جميعا ، تمكن العلماء من صوغ قوانينهم في أرقام حسابية أو أشكال هندسية ، وسبيلها العام إلى ذلك

1 — Introduction à la medecine experimentale

2 — lectures 71

3 — art de la methode

هو الاستقراء والتجريب ما دامت الموضوعات قابلة للمقياس والمقدار

وفى البيولوجيا خضعت ظواهرها لهذا المقياس . يقول (بيكار Bicard) « إن البحوث البيولوجية لا تقفنا على دخائل الأجهزة الداخلية ، ولا يمكن أن نكون منها معادلات لها دوال على الوجه الذى نراه فى عالم الفزيقا » (٤)

والواقع غير هذا ، فقد تقدم علم البيولوجى تقدما ملحوظا ، وتمكن من قياس الظاهرات البيولوجية وتحليلها وتغيير ظروفها لمعرفة التغييرات الناشئة من ذلك ، وهو لم يصل إلى هذا إلا بأمرين هما : التشريح والاستدلال ؛ وبهذا التحليل تمكن من معرفة تركيب الخلايا والغدد لمعرفة أثر الحياة الفزيولوجية فى الحياة السيكولوجية ، وبذا انتهى إلى معرفة خواص (الأدرينالين) ودوره الفسيولوجى ، وانتهى إلى تأثرات الجهاز العصبى بالجهاز التناسلى ، وأثر الخلايا وتركيبها فى السلوك العام ، وانتهى إلى قوانين التنبيه الحسى أو العضلى ، وسبيله إلى كل ذلك التجريب ثم التحليل والإحصاء والمقياس والرسم البيانى والمعادلات الجبرية ، وعلى ذلك يكون الروح الرياضى هو العون الوحيد على هذه الجاهدات البيولوجية

أما فى السيكولوجيا ، فقد اعتبرت مظاهر السلوك وقائع تكشف من طاقة كافة هى النفس ، وبتحليل هذه الوقائع وقياسها ، ورد المتشابه منها إلى أصل واحد ، أمكن الوصول إلى بعض القوانين

وفى العلوم الاجتماعية حاول المفكرون علاجها حسب المناهج الهندسية ، دون أن يكلفوا أنفسهم مؤونة تعديل أى قانون بآخر ، ومنهم من استخلص نتائج سياسية من الحكم السائرة والأمثال العامية فأخطأوا جميعا ، وسر هذا الخطأ هو محاولتهم علاج الفن على أنه علم ، ومحاولتهم الحصول على فن قياسى غير معقول (٥) كما يقول (مل Mill)

وحاول أفلاطون قديما - وهو تلميذ الفيثاغورية الرياضية - أن يشيد المدينة اليونانية على اعتبار أن بنى الإنسان أعداد ، لم تتحقق أحلامه ، ولم يندفع به الخيال كما كان يهوى

واستطاع علماء الاجتماع المحدثون أن يتلافوا ما وقع فيه أفلاطون والفارابى وتوماس مور وكامبانيلا ، فنظروا إلى أمور المجتمع على أنها « وقائع » فى ذاتها ففسروها وجربوا عليها واتخذوا لها الإحصاءات ، واستعانوا بالروح العلمية فاستبدلوا بالنسب الرياضية « روابط » سموها القوانين التى هى أشبه بالمدن النفيس الذى كان نتيجة « انصهار » عدة عوامل فى « بوتقة » المجتمع الذى وصل (مونتسكيو) إلى أغواره فألف « روح القوانين » وكما جعله (دوركيم) ميدانا للمجال الطبيعى فانتهى إلى « الضمير العام Conscience collective » وذلك بعد أن افترض فيه جانبيه الكبيرين « الاستاتيكا » و « الديناميكا » شأنه فى ذلك شأن المغناطيسية والكهربائية والميكانيكية والفلك سواء بسواء

وبانماء النظر فى الميادين الاجتماعية ، توصل علماء الاقتصاد إلى نتائج لها قيمتها ، وذلك باكتشاف قوانين : العرض والطلب وقانون جريشام فى النقد ، وقانون ريكاردو فى الإيراد العقارى ، وقانون مالتوس فى العلاقة بين زيادة السكان ومواد المعيشة ، وقانون الغلة المتناقصة ، وقانون الغلة المتزايدة . وكذلك ظهر فى تاريخ الحضارة قانون القهقرى Ricorso الذى توصل إليه (فيكو Vico) وتقدمت النظريات الاجتماعية كثيراً بالاستعانة بالإحصاء ، وصدقت قوانينها العامة منذ اعتمدت على العناصر الثلاثة الآتية :

١ - معرفة طبيعة المجتمع معرفة مستقلة

٢ - اقتباس المنهج من صميم هذه الطبيعة الاجتماعية

٣ - السماح للروح الرياضية والعلمية بتنظيم الوضوعية الاجتماعية والإشراف على وثاقة قوانينها

وقد يتبادر إلى الذهن أن هذه الروح الرياضية لن تتطاول إلى الفنون ، ولكن الواقع غير هذا : فالشعر والموسيقى يعتمدان على الانسجام أو التناسب بين الأنغام والتفاعيل مقدراً كل ذلك بأعداد . فالروح الرياضى سائد فى أوزان الشعر وقوافيه ، والفنون على اختلافها تستوعب جزءا كبيرا من النهج الرياضى من حيث :

4 — la science moderne

5 — The system & logic p.579

البداهة وموهبة الاختراع، والتقدير العددي والإلهام

ولا شك بعد هذا كله في أن المنهج الرياضي هو أوثق المناهج في استقرار النتائج. وكم ذا يود الفكر الخالص أن يحظى في شتى ميادينه بوثاقة الرياضة لولا القيود والسدود التي تعترضه وإن كان يجهد ويسعى مخلصاً في التغلب عليها والوصول إلى هدفه السامي

والرياضة إذن «قاسم مشترك أعظم» بين جميع المعارف. بل هي لغة مشتركة langage commode ووظيفتها الكبرى هي احتمال معاني الألفاظ الوجودية والتفكيرية معاً، والارتفاع بها من المثقلات المادية، والأوشاب والأوضار التي طالما عوقت ركب المفكرين من سعادة الدارين

والأمل اليوم معقود على «التلباثي» لتكون لغة الجموع حيث تصفو النفوس، وتخلص من غواشيها، وتتحقق أحلام فيثاغورس يوم قال «العالم عدد ونغم». وهل ينشد المصلحون إلا العدالة بين الناس ليكون في المساواة كالأعداد؟ وهل ينشد المربون إلا المحبة التي هي انسجام وتوافق كما هو في الأنغام؟، وهل يكون هذا إلا بالتربية الرياضية والاستقامة على نهجها، وليس بعزيز على الله أن تكون هذه «الأعداد والأنغام».. لغة المستقبل

(انتهى البحث) محمد محمود زيتون

شخصية

للأستاذ حبيب الزحلاوي

يلتزم أكثر الناس، أثناء أحاديثهم، كلمة واحدة أو جملة تجرى على ألسنتهم مجرى العادة فتسمى لازمة، وهذه اللازمة إما أن تكون خفيفة تنساب مع الحديث انسياب الكلمة الحشو في بيت من الشعر لا يلتفت إليها سوى الذواقة العارف بفنون القريض، أو تقع في غير موقعها فتصك السمع، وقل من الناس من سلم حديثه من لازمة واحدة أو أكثر

من هؤلاء «الالتزاميين» صديق يختلف في لازمته عن جميع الناس لأنه شاعر، والمفروض في الشعراء أن تكون لازمتهم شعرية ذات معنى ورمز وجرس. لذلك نرى شاعرنا هذا يلتزم بيتاً واحداً من لامية ابن الوردي المشهورة يردده في كل مناسبة على خلاف الشعراء الذين يفترصون كل فرصة للاستشهاد ببيت لشاعر قديم أو مخضرم أو حديث يناسب الموضوع يدللون به على قوة حافظتهم، ومضاء ذاكرتهم، وسعة اطلاعهم، أما التزام هذا الشاعر بيتاً واحداً لا يتبدل، فله دلالة نفسية سينقشع عنها اللثام خلال الحديث

ومن الظريف في شاعرنا أنه يبدأ في إنشاد الصدر من البيت: «لا تقل أصلي وفصلي أبداً» ويسكت هنيهة كأنه يحرض ذهن السامع على إتمامه، والويل لمن يتلكأ في رد الصدر على العجز فيقول: «إنما أصل الفتى ما قد حصل» لأنه سيكون حتماً من البلهاء

طاب لأحد الظرفاء من أصحاب الشاعر، وكنا نسميه «شاعر العرب والإسلام» أو «حسان الثورة» أن يكنيه كنية تطابق لازمته الوردية فكناه «حصل أفندي». ومن عجب أن غاض اسم الشاعر بنعوته واندثر، وانتشرت الكنية المستحدثة وذاع اللقب الجديد بين جميع المشتغلين بالقضية العربية من ساسة وثوار

* * *

شخصية «حصل أفندي» كما أراها اليوم، فريدة في بابها بل هو قريع دهره وواحد هذا العصر، يجمع بين جميع الصفات والمزايا، والغرائز والملكات وأضدادها كلها ولكن كفته إلى اليسار هي الراجحة دائماً!

ترى البشاشة في محياه يعلوها الاكفهرار والتجهم، إن هش ورحب بدا نابه وظفره، وإن نظر وحدق اختلطت عليك معاني تلك النظرات ووجب عليك الاستعاذة بمن لا يستعاذ بسواه على أصحاب النظرة المختلطة. يصاحب كل الناس وفي صدره حرج من كل الناس، مودته مدخولة، ظاهر الملق، مماحل مداور مخادع، يوهمك أنه يخزى، ولكنه في الحقيقة لا يندى له جبين، ولا يحمر له خد أو أذن، يلبس ثياب التقوى ومسوح الزهد، ولا يتورع من اقتحام بيوت الدنس

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

واقتراف الإثم والرذيلة ، يحال المحرمات سراً ، ويتزندق ليقال إنه من زمرة أبناء العصر الحديث

يتعاقل كطفل ، ويتواضع باستكانة ، ويتعالى بحمق ، ويتظرف بسماجة ؛ ولكنه داهية داهية، ولئيم لئيم

تراه فى كل ناد ومجتمع وحزب ، فى الأفراح والمآتم ، يصفق للخير ويطرب للشر ، يفغر فاه لكل طعام من كل مائدة، ويكرع ما يتبقى فى الأكواب ، ولسانه كأضراسه لا يفتر عن اللوك والطحن ، والمضغ والابتلاع

قد لا تعلم ، مهما أوتيت من ذكاء وقوة استلماح ، متى يتجافى الحق ، ولا كيف يرتجل الزور . تعجزك ملامحه ، وتخونك فراستك فى وجهه الكثير القسمات الناتئة ، والأخاديد الغائرة ، وفى غموض فى سحنته وموات لونها ، وهو قدير على إدماج الجد بالهزل ، والمزاح بالرصانة

يتغابى كأخرق ، ويتبالد كأنه أعمى البصيرة ، لايتكدر ولا يغضب ، ولا يرتج عليه الكلام لأنه ذكى لامع الذكاء . وهو فى مجمله خلط ملط كما يقول أصحاب الأمثال

يوهمك أنه كتوم للسر ، صائن للخير ، ولكنه عقرب وشابة ، وأفعوان سعاية ، رسول سوء وفساد ، وزارع عداوات وبغضاء

قلت إن شخصية « حصل أفندى » تجمع بين جميع الخلائق وأضدادها ، وإليك الوجه المقابل للوجه الأول

عرفنا — منذ عرفناه — أنه من خاصة أوائل الرجال الذين بذروا بذور الوطنية فى صدور الأمة التى استكانت دهراً طويلا لحكم الأتراك ، وفى مقدمة الرجال العاملين فى الأحزاب العربية التى كانت تضمهم غاية واحدة ، وأن تظاهرهم آنذاك بالتفرق والتحزب والتشيع ، يعمل هذا الحزب مع الفرنسيين ، وذاك مع الألمان أو الإنجليز ، لم يكن سوى خدعة ووسيلة للاستعانة بهؤلاء الأقوياء على الخلاص من حكم الأتراك الأقوياء الأشرار ، ولكن غايتهم ومرمى سعيهم كان منصبا على نيل الاستقلال ، وإعادة تأليف دولة عربية إسلامية تسير فى مواكب الحياة مع الشعوب الحرة

ثم عرفناه يحارب بقلمه السيال ، ولسانه الطلق ، وبيانه الواضح فى كل ميدان من ميادين استنهاض الهمم ، ونفض غبار الخمول ، واستثارة النفوس ، وإذكاء النخوة العربية

ثم رأيناه يحبس لسانه عن الخطابة، وقلمه عن الكتابة، وقد استبدل بهما بندقية وراح مع الثوار فى ميادين حماه ، وجبال حوران، ومع أشاوس الدروز وأبطال منطقة الغوطة يقتنص ضباط جيوش المحتلين ، ولم يرم جنديا من الجنود المرتزقة أو من أبناء المستعمرات إلا فيما ندر

لقد كانت له مواقع مشهورة ، وحكايات فى البطولة ، ومعلقات فى المغامرات ، وكان برغم نشاطه العجيب ، ونفسه الغدارة ، لا يتخلف من مجالس الساسة ، ولا يني عن درس أمور الوطن وتطوراته ، وإبداء الآراء السديدة ؛ ووضع رسوم الخطط مع الزعماء ، غير أنه لما انطفأت نيران الثورة الكبرى التى تأججت سنة ١٩٢٥ من جراء اختصام الزعماء على الرياسة واقتتالهم على المال الذى تبرع به كرام المصريين والأسخياء من أبناء سورية ولبنان فى المهجر إعانة للثوار ، تحولت فوهات بنادق بعضهم إلى صدور بعضهم الآخر بعد أن كانت مسددة إلى صدور الأعداء.. أقول ما كادت تنطفئ نيران الثورة وتتفرق جماعات الثوار حتى انكفأ الزعماء والقادة متخاذلين ، منهم من يمم دمشق فى أعناقهم محارم الاستسلام للغاصب المحتل ، ومنهم من لاذ بمصر موئل الأحرار وحصن المجاهدين ، يضمدون جراحهم ، ويلمون شعبهم ، ويوحدون صفوفهم ، ويوفقون بين أحزابهم التى كانت فى الأصل حزبا واحدا، يستأنفون جهادهم . ومن عجب أن « حصل أفندى » لم يكن مع الجماعة التى لاذت بمصر . بل راح مع من راحوا إلى دمشق يجرع ذل الاحتلال ويشب من صلف الفرنسيين أتراك الغرب

• • •

التأمت جراحات العرب الأحرار اللائذين بمصر فعاد إليهم نشاطهم ، وتوفزت حيويتهم ، وعلا صوتهم يدوى فى المجامع والصحف ، وما عتم أن أرهف العالم أذنه من جديد يسمع شكاوى هذا الشعب العربى العجيب المتوافرة فيه خصائص العظمة والسؤدد من ناحية؛ وعناصر الاستسلام والخضوع للأمر الواقع من ناحية أخرى. شكاوى فيها ترانيم الحياة ، وأناشيد الحرية ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومطالبة بالحق المغتصب ، وزغردة للثورة ، وتهديد بغسل وتطهير الأمة التي تلوثت بالاحتلال بدماء المحتلين ، ومن عجب ، بل من سخرية القدر أننا كنا نسمع أصواتا منبعثة من دمشق ينعب أصحابها كغراب البين يندبون العرب والعروبة . يلصقون بهم ما هم منه براء ، وينادون بالاستسلام للأمر الواقع ، والطاعة الشرعية لولي الأمر والخضوع له وإن كان دخيلا . وقد صار لزاما على الأحرار المقيمين بمصر أن يحاربوا في ميدانين ، ويقاتلوا عدوين ، الأول مغتصب عات هو الفرنسي المستعمر ، والثاني سوري من أبناء الوطن ضالع مع المحتل ، يرى ويسمع ويتكلم بعين وأذن ولسان المحتل الذي أفسد الأخلاق والضمائر ، واستعبد الأقلام والألسنة بالمال والشهوات

في هذه الفترة من القلق والاضطراب ، في هذه الآونة الحرجة في حياة أمة رامت النجاة من براثن الذئب فوقعت في مخالب لبؤة جائعة جشمة ، في هذه الحقبة التي هي في حكم الضائع من أعمار الأمم ، في هذه الفترة برز شخص « حصل أفندي » في مصر كنبتة شيطان أو كفطر شق أرضا رواها الندى ودفعها التعفن !!!

ومن عجب أن الذهن الشامي المفطور على الذكاء اللامع والسذاجة الصافية ، انطمس ذكاؤه وانطفأ نوره ووجدت فيه السذاجة بأجلى مظاهرها فرحب بـ « حصل أفندي » « الذي كان ضالا فوجد » وغفل أو نسي أنه تخلف عمدا عن ركب أقرانه الأحرار وقد يمم الشام وفي عنقه منديل الاستسلام والعبودية

بل الأعجب والأنكى أن جميع أبواب السياسة فتحت له ، وأن أكثر طوايا الصدور نشرت له بغير ما ظن أو شك أو توجس

لقد كنت واحدا من أولئك الذين خدعتهم أعذار ذلك الداهية اللسن ، وانطلت عليه تلفيقاته البارعة وتمويهه المتقن ... لقد خفيت حقيقة « حصل أفندي » عن جميع إخوانه وأصدقائه ، وأخذ كل منهم ينظر إلى الآخر نظرة فيها الكثير من معاني النفرة المستترة ، والصمت على مضض ، وما لبثنا أن أصبح كل منا يتجنب أصدقاءه الذين وحد بينهم الاعتقال وميادين القتال ، وتدبير المؤامرات ، ووحدة الغاية الوطنية

في صدر كل منا حفيظة ، وتوجس ، وخوف ألا شك أن هناك شيطانا يوسوس ، وأفعى تنفث سمها ، وامرأة خداعة ! ولكن أين هي المرأة والحية والشيطان ؟ وراء أي قناع وتحت أي طلسان أو عمامة يستترون ؟

مقاتلة المحتلين واجب وطني وشرع مقدس ، ومحاربة المواطنين الذين خنعوا للأمر الواقع ونكصوا عن الجهاد في سبيل الحرية ليست بالحرب الشعواء ، ولكن حرب الشيطان ، حرب الطابور الخامس ، حرب دود الخل ، حرب قتل المعنويات بعقاقير محلية ، حرب صدم شعور الشباب بنصائح شيوخ رجعاء » إنما هي حرب أكثر فتكا من القنابل الذرية ، وأشد وبالا من الجرائم لأنها تصيب النفوس فترديها ، وتفتك بالأرواح فتميتها

البقية في العدد القادم

حبيب الزحلاوي

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى والطبعة الأولى للرحلات الثانية من كتاب

رحلات

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر في الباكستان

ثمن الأول ثلاثون قرشا والثاني أربعون قرشا عدا أجرة البريد

والمجلدان يطلبان من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة

ديوان مجد الاسلام

نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم

يقدمه الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

من حق القراء الأعزاء ، وقد راسلنى منهم كثيرون لاتربطنى بهم غير رابطة الفكر ، وتفضل بزيارتى غيرهم سائلين من الديوان الذى انتظروه أكثر من ستة أعوام ، وانتظره الإسلام والمسلمون أربعة عشر قرنا — ومن حق ناظمه على أن أقدم له بمزاياه ، ومنزلته الأدبية ، وصورة واضحة للملحمة الإسلامية ومكانتها من الملاحم الغربية ، ولكن تفصيل هذه المقدمة طويل ، وأنا أحرص ما أكون على الحيز الذى تكرم به الأستاذ الزيات بك على الديوان وناظمه ، فحسبى أن أذكر اليوم فى تقديم الديوان أن « محرما » قد عمد إلى أروع الحوادث فى تاريخ غزوات الرسول وإلى أشهر الأبطال، من وجهة نظرته الشعرية وسجل فى شعره الرصين مالهم من مواقف مجيدة وأعمال خالدة

وقد خالف شعراء الملحمة العربية ، فكانت تغلبه عاطفته فيترجم عن شعوره بطريقة مكنته من أن يطيل الوقوف على حوادث هينة ، وأن ينفذ إلى صميم المعانى ويستقصى التفصيلات ويصور الأبطال صوراً كاملة

وإلى أن تسنح الفرصة التى نعود فيها على بدء ، أرجو أن يطالع القراء ديوان مجد الإسلام أو الإلياذة الاسلامية على هذا الضوء ؟

مطلع النور الأول

من أفق الدعوة الإسلامية

إملأ الأرض « يامحمد » نورا   واغمر الناس حكمة والدهورا
حجبتك الغيوب سرا تجلى   يكشف الحجب كلها والستورا
ـعب سيل الفساد فى كل واد   فتدفق عليه حتى يغورا (١)
جئت ترمى عبابه بعباب   راح يطوى سيوله والبحورا
ينقذ العالم الغريق ويحمى   أمم الأرض أن تذوق الثبورا (٢)
زاخر يشمل البسيطة مدى (٣)   ويعم السبع الطباق هديرا (٤)
أنت معنى الوجود بل أنت سر   جهل الناس قبله (الإكسيرا) (٥)
أنت أنشأت للنفوس حياة   غيرت كل كائن تغييرا
أعجب الدهر فى ظلالك عصرا   نابه الذكر فى العصور شهيرا
كيف تجزى جميل صنعك دنيا   كنت بعثاً لها وكنت نشورا ؟
ولدتك الكواكب الزهر فجراً   هاشمي السنا ، وصبحا منيرا
يصدع الغيهب المجلل بالوحى   الملقى ويكشف الديجورا (٦)
منطق القدرة التى تزهق القا   در عجزا ، والعبقرى قصورا
كل ذمر (٧) رمى النفوس بوتر (٨)   من خطاياه (٩) رده موتورا
خرت العرب من مشارقها الط   يا توالى هويها والحدورا
بات فيها ملك البيان حريبا   يسلم الجند والحمى والثغورا
أنكر الناس ربهم وتولوا   يحسبون الحياة إفكا وزورا
أين من شرعة الحياة أناس   جعلوا البغى شرعة والفجورا
تلك أربابهم : أعلك أن تد   فع مثقال ذرة أو تضيراً ؟
قهروها صناعة أعجب الأر   باب ما كان عاجزا مقهورا
مالدى (اللات) أو (مناة) أو (العز   ى) غناء لمن يقيس الأمورا
جاء دين الهدى وهب رسول الله   ه يحمى لواءه المنشورا
ضرب الكفر ضربة زلزلته   فتداعى وكان خطباً عسيرا
جثمت حوله الحصون وظن الـ   قرم ظن الغرور أن لن تطيرا
هدها ذو الجلال حصنا فحصنا   بالحصون العلى وسورا فسورا
بالرسول الهادى، وبالصفوة الأم   جاد يقضون حقه الموفورا
يهرقون النفوس تلق الردى المـ   راق مثل الغدير يلق الغديرا
إن فى القتل للشعوب حياة   وارفا ظلها ، وخيراً كثيرا
ليس من يركب المنية يخشى   مركب الموت بالحياة جديرا

(١) غار الماء ذهب (٢) الثبور الهلاك (٣) مد النهر سال
(٤) الهدير الصوت والغليان (٥) الاكسير مايلقى على الفضة ونحوها لتحيله إلى ذهب خالص (٦) الديجور الظلام (٧) الذمر الشجاع
(٨) الوتر الذحل أو الظلم فيه ، وأكثر ما يستعمل فى العداوة بسبب القتل (٩) جمع خطية وهى الضربة المكرمة والمعنى منصرف إلى فرسان البلاغة وما يحدثونه من كلامهم

آمن الحق أن تصد (قريش) … عن (فتاها) وأن تطيل النكيرا ؟

سل (أبا جهلها) وقوما دعاهم … فاستجابوا جهالة وغرورا

أولعوا بالأذى، فألفوا رسول الله … ه جلدا على البلاء صبورا

كلما أحدثوا الذنوب كباراً … وجدوه لكل ذنب غفورا

ما به نفسه فيغضب برض … بها وترضيه ناعما مسرورا

إن الله ، لا سواه ، ودين … ملك النفس ، واسترق الشعورا

يجد النـــاس والمقادير فيه … ويرى ما عداه شيئا يسيرا

مازكا سابق من الرسل إلا … هو أزكى نفسا وأصفى ضميرا

جاره (عمه) يقول أترضى … أن يقيموك سيدا أو أميرا(١٠)

ويصبوا عليك من صفوة المال … ل حيا ماطرا ، وغيثاً غزيرا

قال : يا عم ما بعثت لدنيا … أبتغيها، وما خلقت حصورا(١١)

لو أتونى (بالنيرين) لأعرضت … ت أريهم مطالبي والشقورا(١٢)

إنه يشيروا بما علمت ، فأبى … لأدع(١٣) الهوى وأعصى المشيرا

دون هذا دمى يراق ونفسى … تطعم الحتف راغما محذورا

المطعم بن عدى

ما رأينا كالمطعم بن عدى(١٤) … جانياً واصلا ، هيوبا جسورا

آثر الكفر ملة وأجار الد … ين مستضعفا يدور شطيرا(١٥)

رام (بالطائف) المقام فأعيا … فانثنى يطلب الأمان حسيرا

وكل الله بالنبوة منه … أسدا يملأ الفضاء زئيرا

قاعا فى السلاح يجمع حوله … ه شبولا تحمى الحمى وغورا

يمنع القوم أن يصدوا رسول الله … ه عن بيته ويأبى الخفورا(١٦)

نقض الحلف من قريش فأمسى … أسلمته المرى وكان مريرا(١٧)

عجبا للغوى يعطيك منه … عملا صالحا ورأيا فطيرا

ما رأينا من ظن بالزرع شرا … تحمى أرضه وصان البذورا

لو جزى الله كافرا أجرما أحـ … ـسن يوما لخلته مأجورا

فى غار حراء

ظل مستخيفا (بغار حراء) … يعبد الله عائذاً مستجيرا

يسمر القوم فى الضلال ويمسى … للذى أطلع النجوم سميرا

راكعا ساجدا يسبح مولا … ه ويزجى التهليل والتكبيرا

تهتف الكائنات يأخذها الصو … ت ، تحيى مكانه المهجورا

نال منهـــا محلة لم ينلها … صوت (داود) حين يتلو (الزبورا)

نبرات قدسية تتوالى … نغماً رائمـــا وتمضى زفيرا

رب طال الخفاء ، والدين جهر … رب فاجعل مدى الخفاء قصيرا

ماجت الأرض حوله ، وتجلى الله … ه ينهى بركانهـا أن يفورا

أوذى الدين فى الشباب وردت … يد (سعد)(١٨) عدوه مدحورا

رقت فى الكتاب أول سطر … وأتم الدم المراق السـطورا

أدبر القوم مختفين فلولا الله … ه كادت رحى الوغى أن تدورا

أزمع (الضيف) أن يؤم سواه … منزلا ، كان صالحا مبرورا

حله الوحى روضة شاع فيها … رونقا ســاطعا ، وفاح عبيرا

---

(١٠) فى البيت وما يليه اشارة الى مجىء أبى طالب عم النبي يبلغه رسالة قريش ويفاوضه فى شأنهم وشأن آلهتهم وقوله «ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك دونه ماتركته»

(١١) الحصور هنا الضيق الصدر

(١٢) الشقور الأمور الملتصقة بالقلب المهمة له

(١٣) دعه بالشديد دفعه دفعا عنيفا

(١٤) خرج الرسول الكريم من مكة الى الطائف بعد موت عمه أبو طالب وتألب الكفار عليه ليدعو ثقيفا الى الإسلام فلقى فيه أذى شديداً وبعث الى المطعم بن عدى يقول : إنى داخل مكة فى جوارك ، فأجابه الى ذلك وكان يلبس السلاح هو وبنوه يحرسون النبي فى طوافه بالبيت (بقى المطعم بن عدى كافراً الى أن مات) وقد قال النبي فى أسارى بدر : لو كان المطعم بن عدى حيا ثم كلمني فى هؤلاء النتن لتركتهم له (١٥) الشطير الغريب والبعيد (١٦) الخفور نقض العهد والغدر

(١٧) المرير ما اشتد فتله من الحبال ، وحلف قريش هذا الذى عقدوه ضد بنى هاشم وعبد المطلب لاباءهم أن يخلوا بينهم وبين الرسول الكريم ليقتلوه ، ويؤدوا ديته مضاعفة ، فتعاهدوا على منابذتهم واخراجهم من مكة الى شعب أبى طالب ، ومنعهم من حضور الأسواق لتجويعهم ، وألا يصاهروهم أو يبيعوا لهم أو يشتروا منهم ، أو يقبلوا لهم صلحا الا اذا أجابوهم الى طلبهم وكتبوا بذلك صحيفة علقوها فى الكعبة فجهدوا حتى الكانوا يأكلون الخبط وورق الشجر ، وكانت مدة اقامتهم بالشعب ثلاث سنين وقيل سنتان ، وكان الذين سعوا فى نقض هذه المعاهدة خمسة رجال منهم المطعم بن عدى ، وقيل انه هو الذى مزق الصحيفة

(١٨) سخر قوم من المشركين بالمسلمين وهم يصلون مستخفين فى بعض شعاب مكة فضرب سعد بن أبى وقاص وكان معه رضي الله عنه رجلا منهم بلحى بعير فشجه ، وكان أول دم أريق فى الاسلام

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الأزهر قبل « بريل » :

زارت مصر أخيراً الكاتبة الأمريكية الصماء العمياء البكماء « هيلين كلر » وقد نقل عنها الصحفيون ، وتحدثت في نوادي القاهرة ، عن كفاحها في الحياة ، كفاح السياج الكثيف الذي ضرب بين حواسها الثلاث وبين الإدراك ، فإذا نجاحها معجزة ومفخرة ، وإذا بصيرتها تستشف — بوساطة اللمس — من الحقائق وفنون المعرفة ما يقصر دونه إدراك ملايين من ذوي الحواس الخمس ..

وقد عنيت « هيلين كلر » الإنسانة العظيمة بموضوع العناية بذوي العاهات في مصر ، فوقفت على القدر اليسير الذي تبذله الحكومة المصرية في هذا السبيل ، فاستشعرت لطف حسها واصطنعت اللباقة في الثناء على ذلك « الجهد » وفي الحث على المزيد منه ، ومما لا حظته أن المعاهد والدور التي تعنى بذوي العاهات عندنا لا تؤوي أكثر من خمسهم في البلاد ..

وتحية هذا القلم لهذه الضيفة الكبيرة — وهي تحية تليق بأمثالها من عظماء النفوس — أن أقدم لها « الأزهر ! » فإنه لم يبد إلى الآن أنها ستلتفت أو أن أحداً سيلفتها إلى ذلك المعهد العريق الذي عني ولا يزال يعني بالمكفوفين ، يعلمهم ، ويتيح لهم فرص النبوغ وإظهار كفاياتهم العلمية ، وييسر لهم بذلك التغلب على أهم ما يجر إليه حرمان البصر من صعاب في الحياة وهو احتلال مكانة راقية بين أبناء المجتمع بما يؤدون فيه من عمل يؤهلهم لها

وأخشى أن تنتهي زيارة « هيلين » لمصر وليس في ذهنها من العناية بذوي العاهات فيها إلا ما عرفته من ذلك الجهد الضئيل ، فلا تعلم أن مصر سبقت العالم في هذا المضمار منذ ألف سنة ، فوجد فيها الأزهر قبل طريقة « بريل » بمئات السنين

وبعد فليت الأزهر يهتم بإدخال الطرق الحديثة إلى مناهج الدراسة للمكفوفين فيه ، فيبني جديداً على قديم ويضيف طارفاً إلى تليد . والأمل أن يكون ذلك على يد قائد الأزهر في وثبته الجديدة شيخه الحالي فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم

ذكرى إقبال :

احتفلت سفارة الباكستان في مصر بذكرى الشاعر الفيلسوف الدكتور محمد إقبال يوم الجمعة الماضي بدار نقابة الصحفيين ، وقد خطب في الحفل الأستاذ صلاح الدين خورشيد الملحق الصحفي بالسفارة ومحمد علي علوبة باشا والدكتور حسن إبراهيم حسن بك والدكتور عثمان أمين ، وألقى قصائد الشيخ الصاوي شعلان والأستاذ خالد الجرنوسي والأستاذ محمود جبر

والسفارة الباكستانية في القاهرة تبدي دائماً نشاطاً ملحوظاً في الاحتفال بالمناسبات الباكستانية والإسلامية ، وتكون هذه الحفلات فرصاً طيبة لتبادل الشعور بين المصريين ورجال الباكستان في القاهرة ؛ وقد جرت السفارة على الاحتفال بذكرى إقبال كل عام منذ قيام هذه الدولة الفتية ، وهو اهتمام نغبط عليه ، وينبغي لنا — نحن المقصرين إزاء ذكريات أعلامنا — أن نتأسى بها في ذلك ، وخاصة أن الذين يقولون في الذكريات الباكستانية عادة هم جميعاً — ماعدا الملحق الصحفي الباكستاني — مصريون أعتقد أنه من الممكن أن يقولوا أيضاً في ذكريات شوقي وحافظ والمازني وعلي طه وغيرهم من أدبائنا الراحلين الذين لا يذكرهم غير أهليهم الأقربين ...

والملاحظ في الاحتفالات السنوية لذكرى إقبال أن ما يقال في سنة يكرر في أخرى ، فكلهم يقولون إن إقبال شاعر إسلامي استمد فلسفته من ثقافة الإسلام ، وإنه استحث قومه على الجهاد والتقدم ، حتى تكونت الباكستان نتيجة لدعوته وثمرة لغرسه ، ويذكرون تاريخ ميلاده ووفاته والجامعات التي التحق بها ، ولا يفوت قائلهم أن يذكر أن إقبال لم يستطع العمل في

الحكومة لأنه سقط فى الكشف الطبى ... إلى آخر هذا الذى سمعناه فى هذا العام كما سمعناه فى الأعوام السابقة ، لا يكادون يخرجون عنه ..

وكم نود أن نسمع أستاذا باكستانيا يحاضرنا فى « إقبال » باللغة العربية التى لا يعرفها من رجال الباكستان فى القاهرة إلا الملحق الصحفى ...

حتى علماء الباكستان الذين يفدون إلى مصر ، إذ نراهم لا يتحدثون باللغة العربية ، ويتكلمون ويخطبون فينا باللغة الإنجليزية ، ومن عجب أنهم يدعون بهذه اللغة إلى مؤتمرات من أغراضها جعل اللغة العربية لغة رسمية عامة لبلاد الإسلام . والذين توجه إليهم الدعوة هم أهل البلاد العربية الإسلامية الذين يتخذون العربية فعلا لغة رسمية لهم وغير رسمية

وأنا أعتقد أنه لا يتم التوحد والتفاهم بين شعوب مختلفة اللغات ، وقد نزل الإسلام بالعربية ، وارتضيناه دينا ، فلا بد — لتقاربنا وتعاوننا — من التفاهم باللغة التى جاء بها وحملته إلى الناس

وأعود إلى ذكرى إقبال فأقول إن خير ما صنعته الباكستان لهذه الذكرى فى مصر هو ترجمة أشعار صاحبها إلى اللغة العربية ونشرها بين الناطقين بالضاد . وقد قام بجهد مشكور فى ذلك الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام بك سفير مصر فى الباكستان والأستاذ الصاوى

كشكول الأسبوع

◻ احتفل يوم الاثنين الماضى بتوزيع جوائز فؤاد الأول وجوائز فاروق الأول على الفائزين بها هذا العام فى الأدب والعلم والقانون . وقد فاز بجائزة فؤاد الأول فى الأدب الأستاذان عزيز أباظة باشا وفريد أبو حديد بك على أن تكون مناصفة بينهما

وفاز بجائزة فؤاد الأول فى العلوم الرياضية والطبيعية الدكتور عبد السلام عاشور والدكتور ماهر نصيف غبور — مناصفة بينهما

وفاز بجائزة فاروق الأول فى العلوم الاجتماعية الدكتور محمد عوض محمد بك

وفاز بجائزة فاروق الأول في العلوم الكيميائية الدكتور أحمد مصطفى أحمد والدكتور رضوان عطية مباشر — مناصفة بينهما

◻ عقد فى هذا الأسبوع اتفاق ثقافى بين مصر وأسبانيا ينص على إنشاء معاهد ثقافية لكل من البلدين فى الآخر ، وتبادل الأساتذة وإنشاء كراسى لحضارة البلدين فى جامعاتهما ، وتبادل البعثات وتشجيع الرحلات بينهما

◻ أصدر الأستاذ توفيق الحكيم كتابه الجديد « فن الأدب » وقد تصفحته عاجلا فلاح لى أنه من الكتب التى يحلو للأديب معاشرتها فترة يتمنى أن تطول . فأكتفى الآن بهذه الإشارة على أن أحدث قراء « الرسالة » عنه بعد فترة أرجو — على رغمى — ألا تطول ..

◻ من أنباء « فينا » أنه قد عهد إلى أحد نقاد الأدب هناك فى إعداد طائفة من مسرحيات الأستاذ توفيق الحكيم للتمثيل على بعض المسارح النمسوية

◻ ومن تلك الأنباء أن بعض الصحف النمسوية أبدت رغبتها فى نشر قصص مصرية قصيرة لكبار الكتاب المصريين كمحمود تيمور بك وغيره

◻ أعلنت وزارة الشؤون الاجتماعية من نتيجة المسابقة التى أجرتها لاختيار أحسن الأفلام التى عرضت سنة ١٩٥١ ، ففاز فلما « ليلة غرام » و « أنا الماضى » وقصة

شملان ، وقد كان خير ما فى الحفل شعر إقبال الذى أنشده الأستاذ الصاوى بعد ترجمته إلى العربية

الطفولة فى الأدباء :

فى حياة بعض الأدباء والشعراء ، أو فى كثير منهم ، وقد يكون فى جميعهم ، جوانب تبدو تافهة وذات دلالة لا تتفق وعظمة ما ينتجون من أدب وشعر ، ولا شك أن المتأملين فى حالات النفس الإنسانية والباحثين من الحقائق فى هذا المضمار يهتمون بتتبع تلك الجوانب ودراستها ، وكثيراً ما يستضىء بها النقاد المحدثون فيما يتناولون بالنقد والتحليل من حياة الأدباء وآثارهم

ويحدثنا تاريخ الأدب عن كثير من ذلك ، وإن كان منثوراً غير منظوم فى دراسات ذات مقدمات ونتائج

أقصد بذلك التمهيد لسياقة أطراف مما عرفناه فى بعض أدبائنا المعاصرين الراحلين :

كان الأستاذ كامل كيلانى يلتقى بأمير الشعراء أحمد شوقى بك فى أوائل أيام الصيف بالإسكندرية ، ومرة رآه مكتئباً مقطباً ، فسأله فى ذلك ، فقال شوقى : سكرتيرى مريض

— شفاه الله ، أليس تحت عناية الطبيب ؟

— ما إلى هذا قصدت ..

— ماذا إذن ؟

— أشار على الطبيب أن أمشى كل يوم مسافة قدرها ما بين خمس شجرات فى صف واحد على هذا الطريق ، وأنا أمشى حتى أبلغ الشجرة الرابعة ، فأشعر بالتعب ، فأتوقف ، فيقول لى « السكرتير » : من أجل خاطرى امش إلى الشجرة الخامسة ! فأنا اليوم سأمشى إلى الرابعة فقط ..

— المسألة هينــة . أميرك سكرتيري يقول لك ..

وحلت العقدة ، ولم يقطع أمير الشعراء مشيه إلى الشجرة الخامسة ، وشكر « الجميل » للسكرتير المعار ..

وكان المرحوم الأستاذ صادق عنبر — فى فترة من حياته — موظفاً فى وزارة المعارف بمرتب لا يلائم مكانته الأدبية ، وتولى هذه الوزارة رجل ممن يقدرون الأدباء . فرأى أديب كبير من أصدقاء صادق عنبر — وهو أيضاً صديق للوزير — أن يلفت نظره إلى الأدباء المغبونين فى رزقه بالوزارة ، فحادث الوزير فى الأمر ، فوعد بزيادة مرتبه خمسة جنيهات فى الشهر . واستقبل الوزير الأديبين الكبيرين فى داره ، وكان الموقف يتطلب من الأستاذ صادق عنبر أن يقبل على الوزير بحديث يكسب به مودته وإعجابه ، ولكنه لمح بيد صديقه علبة كبريت (١) أشعل منها لفافته ووضعها أمامه على المنضد وكان الأستاذ صادق « مولعا » بالكبريت ! فوجه همه إلى العلبة ..

وجعل يخالس صاحبه ليأخذ من عيدانها ويملأ علبته ! فسارع الصديق بدس العلبتين فى جيبه ، ليطمئن ويوجه انتباهه إلى الموضوع الذى أتيا من أجله ... ولولا ذلك لضحى أديبنا الفقيد بخمسة جنيهات فى الشهر لقاء عيدان من الكبريت لا تساوى خمسة مليمات ...

وكان فقيد الأدب الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ، إذا أراد أن يسرى عن نفسه مما يهمه ، يقوم إلى المرآة فينظر فيها إلى صورته ويخرج لسانه .. وكان يعلل ذلك بأنه يريد أن يضحك نفسه ليذهب عنه ما ألم به .. وهو تعليل مقبول ولكنه يدل على ما وراءه مما يتصل بموضوعنا

ولعل تلك الشاعر ، والتصرفات التى عليها ، من بقايا الطفولة فى نفوس الأدباء ، ولعل لكل واحد منهم طريقة خاصة به فى «طفولته» الملازمة ، قد يأتيها فى العلن متاجنا ، وقد يصنعها فى خلوته ...

ويرى الأستاذ توفيق الحكيم أن أعمال الأديب من امتداد طفولته وأنه يحاول أن يتخلص من مكافحة المجتمع لهذه الذخيرة « الطفولية » التى هى من ألزم الأمور للأديب وذلك كما جاء فى الفصل الأول من كتابه الجديد « فن الأدب » وقد قرأت هذا الفصل بعد كتابة ما تقدم كما يقول الزملاء الصحفيون ... .

عباس خضر

---

(١) روى لى الأديب الفنوى المتمكن الأستاذ شوقى أمين البيت الآتى لابن رشيق
أشر بعود من الكبريت نحو فمى
وانظر إلى زفراتى كيف تلتهب

الفلم الأول لرواية الأديب النابغ الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله ، وهى قصة ذات موضوع إنسانى مما يندر وقوعه فى الأفلام المصرية ، وقد استرعت انتباهنا وقت عرضها وحدثنا عنها قراء « الرسالة » فى ذلك الحين

□ دعت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية رجال الفكر والثقافة بالعالم العربى إلى مسابقة عامة فى التأليف موضوعها « المشاكل التى تعوق العالم العربى عن التقدم فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة والأخلاق » على أن يقع البحث فى نحو ثلاثمائة صفحة من الحجم المتوسط ، ويكتب باللغة العربية الفصحى ، ويقدم فى موعد غايته آخر أكتوبر القادم . وسيعطى صاحب البحث الفائز مكافأة قدرها أربعمائة جنيه مصرى

□ تقرر حذف اسم الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف من عداد الأعضاء العاملين بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ومنحه لقب عضو فخرى بالمجمع ، وذلك لعدم حضوره جلسات المجمع نحو عشر سنين

□ توالى اللجنة الفنية المؤلفة بمجمع فؤاد لبحث مقترحات تيسير الكتابة — اجتماعاتها للانتهاء من المهمة الموكولة إليها قريباً ، وهى تتكون من الأستاذ شارل كوئنز مدير المعهد الفرنسى بالقاهرة رئيساً ، والأساتذين شفيق مترى ومحمد على مكاوى عضوين . وقد قدمت تلك المقترحات إلى المجمع على أثر إعلانه عن مسابقة لتيسير الكتابة العربية يمنح فيها ألف جنيه للمقترح الفائز

□ جاء من كراتشى أن الدكتور عبد الوهاب عزام بك سفير مصر فى الباكستان ألقى خطاباً فى مؤتمر عقد بلاهور دعا فيه إلى المحافظة على الثقافة الإسلامية والنهوض بها ، وقال إن هذه خير وسيلة لمواجهة النفوذ الغربى فى البلدان الإسلامية

□ قال فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز المحرر « الكشكول » إن فن الموسيقى والعزف بالآلات كان يدرس بالأزهر فى بعض العهود الماضية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الانسان بين الماديه والاسلام

تأليف الأستاذ محمد قطب

عرض وتعليق

للاستاذ حسين عبد الفتاح سويفي

لن يصدق القارئ بعد أن يفرغ من قراءة هذا الكتاب ، أن مؤلفه شاب لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، فلو أن كاتبا أفنى عمره الطويل فى البحث والاطلاع لينتج مثل هذا الكتاب لضمن لنفسه الامتياز والتفوق . إنه يسحرك ويستهويك من أول جملة فى المقدمة إلى آخر جملة فى النهاية ، إنه يرضى ذوق الأديب ، وروح الشاعر ، وعقل العالم ، ومنطق الفيلسوف

هو بحث سيكولوجى ، يعرض عليك النفس ، فى ثوب تحليلى رائع ، وتعبير أدبى موسيقى بديع ، وإنك لتجد فيه رشاقة الأسلوب وقوة التعبير والتحليل ، وسلاسة المنطق وسلامته ، والمعرفة بأسرار النفس وخفاياها ، وطبيعة تكوينها ، ورأى العلماء والأديان فيها ، ومدى ارتباطها بالحياة ، وارتباط الحياة بها

وهو يضع الإنسان بين المادية والروحية ، وبين المذاهب الاجتماعية المختلفة ، والأديان السماوية ، ويسلط عليه هذه الإشعاعات ، ليقنعك فتقتنع معه بأن الإسلام دين الفطرة ، دين الحياة والأحياء

إنه يقول فى المقدمة : « بينما يتطرف فرويد ، فى إطلاق النفس من عقالها ، ورفع الكبت عن الغرائز المحبوسة ، وتتطرف المسيحية من الجانب الآخر فى فرض الكبت على الطاقة الحيوية للإنسان . يقف الإسلام بينهما موقفا وسطا ، فلا يفرض القيد إلى الحد الذى يرهق النفس ، ويعطل دفعة الحياة ، ولا يطلق الإنسان من عقاله ، إلى الحد الذى يرده حيوانا ويلق ما تمبت الإنسانية من الوصول إليه فى جهادها الطويل ، من ضوابط لنزعات الحيوان »

هكذا فى إيجاز بسيط يعرض عليك موضوع الكتاب موجزا فى بضع جمل ، ثم يفصله لك بعد ذلك تفصيلا ، يقنعك كل ما فيه بصدق ما يقول

وإنه ليفجؤك بالرأى أحيانا ، فيترك فى نفسك مجالا للتساؤل والحيرة ، ثم لا يلبث أن يعيد إليك أمنك وطمأنينتك ويردك إلى نفسك ، ويرد نفسك إليك ، فعند ما تقرأ الفصل الأول من الكتاب « نظرة المسيحية » وتطالع أولى فقراته :

« المسيحية دعوة مخالفة لطبيعة الحياة والأحياء ، دعوة ترتفع بالإنسان عن نفسه ، وتصل به إلى الآفاق العليا التى تسمو عن الجسد والمادة ، الآفاق الطليقة من قيود الأرض . ومن نوازع الشهوات »

« إنها قصيدة رومانتيكية ساحرة ، وحلم جميل لشاعر نبيل — ولكنها مع ذلك مخالفة لطبيعة الحياة والأحياء — »

لا شك أن سؤالا يقوم فى نفسك !! كيف تكون المسيحية مخالفة لطبيعة الحياة والأحياء وهى دين منزل من السماء !! ولكنه لا يتركك فى هذه الحيرة طويلا فيجيبك الإجابة المقنعة البسيطة الصحيحة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

« المسيحية حقنة مضادة المادية اليهودية والرومانية التى كانت شائعة يوم بعث المسيح ، فلزم إذن أن تكون نسبة الروحانية فيها ضخمة غالبة . بل لزم أن تكون كلها روحانية متسامية ، لتتعادل مع تلك المادية لعلها تصلح النفوس ، ولكنها ليست نظاما طبيعيا للحياة الدائمة فى كل الأجيال وفى كل الشعوب » ثم يضرب لك الأمثال

وحينما يتحدث عن فرويد ، يعترف أنه عبقرية فذة ، ولكنه لم يكن على صواب دائما فيما يبديه من الآراء . إنه ينكر عليه « نظرته إلى الإنسان على أنه كائن أرضى بحت ، لا يرتفع بمشاعره وعواطفه عن عالم الأرض إلا فى حالات الشذوذ »

وينكر عليه وعلى دارون وعلى الغربيين عامة « هذه الروح المادية المتنكرة لكل قوة خارجة عن حدود الأرض ، ولا تؤمن إلا بميدان العلم التجريبى » ثم يناقش هذا الرأى فيقول :

« إن العلم ما يزال فى طفولته ، وما يزال كل يوم يصل إلى آفاق جديدة ، فيلغى إلغاء تاما معلومات كان ينظر إليها على أنها

حقائق نهائية لا تقبل الجدل ، ولا تحتمل التأويل »

إنه يريد من هؤلاء جميعا أن يقولوا قولا غير هذا ، يتمشى مع العقل والواقع . إنه يريد من قائلهم أن يقول :

« إننى توصلت بالشواهد الثابتة ، والتجارب المؤكدة ، إلى إثبات كذا وكذا من الأمور ، ولكن أمورا أخرى فاتتنى ولم أستطع إدراكها ، ومنها سر نشوء الحياة على ظهر الأرض والسر الذى يحمل الأحياء تتشبث بالحياة ، وتتطور تبعا لذلك لمواجهة ما يحيط بها من ظروف ، ثم السر الخفى فى قدرتها على هذا التطور العجيب ، ولا يمكننى فى الوقت الحاضر أن أقول : إلا أنها من أسرار خالق الحياة التى لم يكشف عنها بعد الأحياء »

ولا يفوته حين يقول ذلك للغربيين ، أن يأخذ علينا نحن الشرقيين « إعاننا الأعمى بكل ما يأتى به الغرب على أنه صواب لا خطأ فيه ، ولماذا لا نعيد النظر فى هذه الآراء والنظريات فنأخذ منها الصواب ونتجنب الخطأ ، ولنا عقيدتنا الخاصة التى نعترف بالعلم كما نعترف بالدين ، ونضع الإنسان فى وضعه السوى »

وإنك لتحس الثورة العاتية فى نفسه ، على هذا العالم المادى الثقيل المتخلى عن إنسانيته حينما يختتم هذا الفصل بقوله : « ألا إنها المغالطة الكبرى لكل حقائق الحياة ، والنفس البشرية هى التى أدت العالم ، إلى الحيوانية المتجردة ، التى ارتكس فيها بغير عذر الحيوان ، وبغير حصافة ، الحياة التى رسمت للحيوان حدودا معينة ، تقف عندها غرائزه ... أما الإنسان الذى كرمه خالقه ورفعه ، وجعل فى يده أمر نفسه ، فإنه ينتكس اليوم إلى حالة يتعفف عنها بعض أنواع الحيوان

ثم استمع إليه ، واسخر معه كما سخر من التجريبيين ، أولئك الذين يخضعون كل شئ للمعمل ، وللتجريب العملى « يؤمن الغربيون بكل ما يحمل خاتم التجريب ، ويأخذونه قضية مسلمة ، لا تحتمل الشك والتأويل ، أما ما لا يخضع للمعمل فهو خرافة ، أو على الأقل شئ ساقط من الحساب ، ولما كان الله — مثلا — لا يدخل المعمل ، ولا يخضع للتجريب ، فقد استغنوا من خدماته ، وأعلنوا أنه غير موجود » !

على أنه مع ذلك لا ينكر خدمات العلم التجريبى ، التى أداها للبشرية ، ولكنه ينكر ، وينكر القارئ معه ، إخضاع كل شئ للمعمل والتجريب ، فهناك الجوانب الروحية التى لا يمكن أن ننكر لأننا نجهل جانبا منها

« قد يستطيع الباحثون ذات يوم أن يصلوا إلى نتيجة نهائية قاطعة ، فى الظاهر المادية لهذا الكون ، أما النفس الإنسانية فهى عالم واسع غير محدود ، وما زالت البشرية منذ مولدها إلى هذه اللحظة ، تتحدث عنها ، وتحاول الوصول إلى كنهها فى آدابها ، وفنونها ، وفلسفتها ، وأديانها ، واجتماعياتها ، فلا ينتهى الحديث ، ولا ينقطع عند نقطة معينة ، وإنما يتقبل البحث كل ما قيل ، وكل ما سيقال ، ويبقى بعد ذلك الباب مفتوحا للمزيد »

هذا حديث عقلية واعية صاحية مرتبة ، تعرف كيف تعبر وتدعم الحجة بالحجة ، وتقرع الرأى بالرأى ، ونأتى بعد ذلك بفصل الخطاب ، وهو يؤيد العلماء النظاريين الذين يقولون « إن هناك نزوعا ، أو انفعالا نفسيا يؤثر فى الجسد ، فينتج عنه حركة جثمانية تهدف إلى تحقيق هذا النزوع ، أو إرضاء الانفعال ، وينكر على التجريبيين قولهم : « إن الجسد هو الذى يتصرف فى النفس »

يقول قائلهم « أى التجريبيون — إننى سمعت خبرا محزنا فبكيت ، فنشأت من ذلك عاطفة الحزن ! فالحزن نشأ من البكاء أى من الحركة الجسدية . وليس العكس ، أن الإنسان يحزن فتنهمر دموعه — كما يقول العقلاء من عباد الله »

« ويقولون إننى رأيت الأسد فجريت ، فنشأ من ذلك الخوف ، لا أننى خفت فجريت »

إن المؤلف يؤمن بأن الجسد أداة منفذة لرغبات النفس ، وينكر على فرويد إيمانه بالجبرية الشعورية التى تقول : إن الحياة النفسية مصدرها الجسد ، والجسد إفرازات كيماوية ، ونشاط كهربى ، لا سلطان لأحد عليه ، لأنه يعمل بطريقة غير إرادية فقد انتفت إرادة الإنسان التى يكون بموجبها مسئولا عما يفعل »

وهل هناك دليل على تأصل المادة فى حياة فرويد ، وعلى عدم اعترافه بالأديان ، والجوانب الروحية ، أقوى من هذا القول ؟

ARCHIVE
archivebeta.Sakhrit.com

لأن الأديان جميعا تقول : بأن الإنسان محاسب على أعماله ، لأنها تصدر عن إرادته ، ولا تعفيه عن المسئولية حينما يرتكب خطيئة فى حياته الدنيا ، حتى القوانين الوضعية ، تأخذ المجرم بالعقاب ، لأنه مسئول عما يفعل ، وإلا فلم يعاقب المجرم؟ ولم وضعت القوانين؟

وليتصور القارئ أى فوضى كانت تسود البشرية ، لو ترك الناس أحرارا فيما يفعلون ، باعتبار أنهم غير مسئولين عما يفعلون ! وأى فرق بينهم وبين الوحوش فى الغابات والهوام فى مسارب الأرض

إنه حين يقول ذلك « ليسقط المسئولية الخلقية ، ويسقط معها الإنسان »

وعندما يتعرض للشيوعيين بكشف زيف مذهبهم ، حين يقولون :

« — إن الإنسان هو القوة الفعالة فى هذا الوجود — وتلك جملة براقة قد توحى بأن أنصار هذا المذهب ، يؤمنون بالإنسان وبالإنسانية فى صورها الرفيعة النبيلة ، الإنسان فى مجموعه ، بما فيه من جسد وعقل وروح » فانظر كيف يكشفهم ويفضح مذهبهم حين يقول : « إنهم لا يؤمنون بالإنسان ، ليرفعوا من شأنه ، ولكن لينفوا فقط تدخل الإله فى شؤون الخلق ، أما إيمانهم بالإنسان فعلى أساس أنه مادة ، ولكن إذا سألنا ما هو الفكر ؟ وما هو الشعور ؟ ومن أين ينبعثان ؟ يتضح لنا أنهما نتاج الدماغ البشرى ... وهذا الدماغ ليس إلا مادة ...

وهنا تظهر طبيعة المؤلف الصاحية الواعية : فيقول :

« إذا كان العقل مادة ، فإن الفكرة فى ذاتها ليست مادة ، لأنها لا تتحدد بحدود الزمان والمكان »

وهكذا يردهم إلى صوابهم حين لا يجدون الإجابة المعقولة

ثم يبين لك خطل الرأى الشيوعى فى أن المادة هى أساس النظم الاجتماعية الصالحة ، ويقارن بين الشيوعية ، وبين الإسلام ، كنظام اجتماعى ، كانت الجوانب الروحية هى الأسس الأصيلة التى أقام عليها نظاما اجتماعيا صالحا فى مدى سنوات معدودات

« إن الإسلام قد انتشر بسرعة مثالية ، ما تزال فريدة حتى اليوم ، ففى أقل من عشر سنوات ، أيام عمر بن الخطاب ، كان قد غمر فارس والعراق والشام ومصر والنوبة .. لم يكن ثمة بارود ، ولا اختراع حربى — مادى — يتفوق به حفنة من العرب الذين انطلقوا من الجزيرة ، يبشرون بالإسلام ، على قوى الإمبراطوريتين العريقتين ، فى فارس وبلاد الروم .. شئ واحد هو الذى تغير ، هو إحساس هؤلاء العرب بالحياة والكون ، وبالحق والعدل الأزليين .

لقد كانت العقيدة الجديدة ، هى القوة الدافعة فى هذا البناء الجديد »

وعندما ينتهى المؤلف إلى « نظرة الإسلام » يتحدث عن الفرد من خلال عدسة الإسلام ، فلا يترك جزءا من جزئيات جسمه ، ولا مسربا من مسارب نفسه ، ولا هاتفا من هواتف رغباته ، ولا غريزة من غرائزه إلا ويجلها تحت ضوء هذه العدسة . ثم يبين مقدار صلة الفرد بالسماء ، ومدى سموه وصموده ، وعلاقته بالأرض ومدى انجذابه إليها — على حسب نظرة الإسلام — ثم يأخذ له صورا متلاحقة لنزعات عقله وجسمه وروحه . . وكيف أن الانسان يساير هذه النزعات ، أو يحد من قوتها بالقدر الذى يضمن للفرد والحياة ، اضطراد النمو ، ودوام الارتقاء

وإنه ليعرض عليك النظريات الاسلامية ، فى فيلم منسق ، يرضى روحك وعقلك ، ويرد بك مناهل المعرفة الاسلامية . كل ذلك فى أسلوب يكاد من الرقة يطير ، ومن القوة يلتهب

وهو مع ذلك كله ، لم يأت بجديد على حسب (نظرة الإسلام) ولكنه ارتاد فعرف كيف يكتشف ، واطلع فعرف كيف يفهم ويفهم ، فارجع إلى هذا الفصل من الكتاب لأنه أضخم من التلخيص

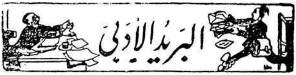
وفى باب الفرد والمجتمع يعرض عليك الآراء النظرية ، والتطبيقات العملية المختلفة للحكومات ، ويبين لك خطأ أولئك الذين يغالون فى احترام الفرد على حساب المجتمع ، والمجتمع على حساب الفرد فيقول « كلتا النظرتين مبالغ فيها إلى حد الإسراف المعيب »

« فالفرد الذى يبالغ إحساسه بنفسه وذاتيته أن ينسى وجود الآخرين ، والمجتمع الذى لا يفرض الفرد ، أى وجود مستقل كلاهما يتجاهل طبائع الأشياء ، ويغفل من حقيقة نفسية مهمة »

وقد كان من الممكن أن يكتفى بهذا القول ففيه وحده الإقناع ، ولكنه دائما يأخذ فى كثير من التفصيل والتعليل ، لتزداد اقتناعا على اقتناع

البقية فى العدد القادم

حسين عبد الفتاح



فتشوا عن الرجل

نعم .. فتش عن الرجل .. فهو المسؤول الأول عن كل فرد من أفراد الأسرة التي يرعى شؤونها .. مسؤول عن زوجه وأبنائه وبناته .. بحكم ما خصه الله به من نفوذ ، فجعله قواما على زوجه ، ووليا على أبنائه ، ووكيلا عن بناته ، وراعيا لشؤون الأسرة ، شأنه شأن القبطان الذي توكل إليه مهمة القيادة ، فيتجنب مواطن الزلل والأخطار ، ليسير بالركب قدما إلى شاطئ السلامة والاستقرار .. وهذا يتطلب منه — إلى جانب حسن القيادة — اليقظة والحذر ، والتبصر بالعواقب ، ليحيط رعيته بسياج منيع يحميها ، ويقيها الأحداث

وإذا تهاون الرجل في القيام برسالته ، فإن البيت لا يلبث أن يختل نظامه ويضطرب كيانه ، وتهدده عوامل الشقاق التي تعصف به وتقوض صروحه !

فإذا رأينا زوجة ضلت الطريق السوى ، فاعلم أن هناك رجلا لم يعرف كيف يهديها سواء السبيل ، ويوجهها الوجهة القويمة ، أو أنه ترك لها الحبل على الغارب ، فأفلت من يده الزمام !

وإذا رأينا زوجة خرجت من حدود الكرامة ، وغشيت المجالس والأندية التي لا يليق بها أن تغشاها ، تراقص الرجال وتحتسى الشراب ، فاعلم أن هناك رجلا مستهترا ، أباح لها الخروج على هذه الصورة المزرية ، وعلمها كيف تتناول الكأس .. وكيف تتناوله !

وإذا رأينا فتى جرفه تيار الغواية ، وصرفته شياطين الإنس عن مثل الكرامة ، فاعلم أن هناك أبا أغمض عينيه وغفل عن رعايته وتوجيهه ، فانتهى به الأمر إلى هذا المصير المظلم

وإذا رأيت فتاة خدعتها المظاهر ، وبهرتها الأضواء الزائفة ، فاعلم أن هناك أبا تهاون في الرقابة ، فجنى على رعيته

وهذه المآسي الاجتماعية التي نشهدها بين وقت وآخر ، والتي تثير في نفوسنا اللوعة والأسى لما تتمخض عنه من تشرد الأبناء وانفصام العرى وانهيار البيوت ؛ لو درسنا العوامل التي أفضت إليها ، لوجدنا أن للرجل الاصبع الأولى فيها ، فهذه الطفولة الشردة التي نشكو آثارها البغيضة ، إنما هي ثمرة من ثمار الرجولة المشردة ، وهذه الأنوثة المشردة التي تودى بضحاياها إلى حياة الظلام إنما هي ثمرة من ثمار الرجولة المشردة ، لأن هذا الرجل الذي تصرفه عن بيته الشواغل ، فلا يعود إلى بيته إلا في الهزيع الأخير من الليل لا يمكن أن يحقق رسالته كزوج ووالد ؛ إنه يعود إلى البيت بعد أن يأوى الأبناء إلى فراشهم ، وقد يغادر الأبناء البيت في الصباح المبكر قبل أن يراهم الأب ، ويناقشهم في مختلف الشؤون التي يجب أن يحاسبهم عليها ، فكيف ينتظم البيت وهو على هذه الحال من الفوضى والتفكك ؟

فليتق الله هؤلاء الرجال في زوجاتهم ، وفي أبنائهم ، وفي بناتهم ، وليؤدوا رسالتهم على وجه يرضاه الله ، ويرضاه المجتمع !

عيسى متولى

إلى القاضي الفاضل

أستحلفك بالله ألا تنفذ ما أوعدت به في نقد بني أمية بالحق فقد أفضوا إلى ما قدموا ؛ وهذا الإمام الشعراني نراه يعقد فصلا في بيان وجوب الكف عما شجر بين الصحابة ووجود اعتقاد أنهم مأجورون بقوله : « وذلك لأنهم كلهم عدول باتفاق أهل السنة سواء من لابس الفتن ومن لم يلابسها ، كفتنة عثمان ومعاوية ، ووقعة الجمل ، وكل ذلك وجوبا لإحسان الظن بهم وحملا لهم في ذلك على الاجتهاد ، فإن تلك أمور مبناها عليه ، وكل مجتهد مصيب ، أو المصيب واحد والمخطئ معذور ، بل مأجور . قال ابن الأنباري : وليس المراد بعد التهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم ، وإنما المراد قبول رواياتهم لنا أحكام ديننا من غير تكلف ببحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية ، ولم يثبت لنا إلى وقتنا هذا شئ يقدح في عدالتهم ولله الحمد ، فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن الرسول عليه السلام حتى يثبت خلافه ، ولا التفات إلى ما يذكره بعض أهل السير ، فإن ذلك لا يصح ، وإن صح فله تأويل صحيح ، وما أحسن قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا نخضب بها ألسنتنا »

هذا وقد زاد قدر الأستاذين الطنطاوي وشاكر وعلت مكانتهما في القلوب ولنا أن نباهي بهما !

شطانوف

محمد منصور خضر



الشيطان

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

كانت المرأة العجوز مسجاة على فراشها وهي تعالج سكرات الموت، وترقب من بين أهدابها المرهقة ابنها وهو منتصب أمام طبيب القرية وتحاول بكل ما أوتيت من قوة وإحساس أن تتبين ماهية الهمس الذي كان يدور بينهما . كانت هادئة ساكنة رغم ثقتها من أنها ستموت عن قريب ... ولكنها كانت مستسلمة للواقع الملموس .. فهي قد أكملت الثانية والتسعين من عمرها .. وهذا يعني أنها قد أتمت رسالتها في الحياة

وتخللت شمس يوليو النافذة ... وغمرت أشعتها اللاهبة أرض الغرفة وارتفع صوت الطبيب قائلا بشدة :

— إنك لا تستطيع أن تترك أمك وحيدة يا « أونوريه » وخصوصا وهي في مثل تلك الحالة فهي قد تموت بين آن وآخر

وأجاب أونوريه بقلة اكتراث :

— مهما يكن الأمر ... يجب علي أن أذهب لحصاد الحنطة ... وها هو ذا الجو الملائم لذلك ... ماذا تقولين في ذلك يا أماه ؟

وبرغم شعور المرأة برعشة الموت وهي تسري في جسدها .. فقد أشارت إلى ابنها بالموافقة وهي تحت تأثير جشعها وعبادتها المال

وضرب الطبيب الأرض بقدمه محنقا وهو يهتف :

— ما أنت إلا وحش غليظ القلب .. ولكنني لا أسمح لك أن تفعل ذلك .. هل فهمت ؟ إن كان عليك حقا أن تحصد حقل الحنطة فلا أقل من استدعاء المرأة « رابت » للعناية بأمك وأنا أصر على ذلك . . أما إذا لم تفعل ما أشرت عليك به .. فسأتركك تموت وحيدا كالكلب الأجرب إذا ما افترسك المرض بأنيابه وحانت منيتك .. فتذكر ذلك

أي أحاسيس وجلة خالجت مخيلة أونوريه في تلك اللحظة ؟

لقد كان يخاف الطبيب الوحيد في القرية، ولكنه إلى جانب ذلك كان يعبد المال ويقدسه؛ وتردد قليلا قبل أن يسأل الطبيب في النهاية قائلا بارتياب :

— وكم تطلب المرأة رابت أجراً للعناية بأمي ؟

وتمتم الطبيب :

وأنى لي أن أعلم . . إنها تتقاضى أجرها بالنسبة للزمن الذي تعمل فيه ... فما عليك إلا أن تتفق معها شخصيا ... وإنني أنذرك أنني أريد أن أراها هنا قبيل مرور ساعة واحدة

— حسن . . يمكنك أن تطمئن أيها الطبيب . ها أنذا ذاهب إليها

وغادر الطبيب الغرفة بعد أن قال للشاب بلهجة تهديدية متوعدة :

— مرة أخرى ... إنني لست هازلا في تحذيري إياك

وحين انفرد الشاب بأمه التفت إليها قائلا بلهجة المغلوب :

إنني ذاهب لاستدعاء الأم « رابت » كما أصر على ذلك هذا الغر ... فكوني هادئة حتى أعود ، ودون أن ينتظر إجابتها غادر الغرفة

كانت الأم « رابت » امرأة عجوزا تشتغل بكي الملابس وتنظيفها ... وإلى جانب ذلك تعمل كممرضة لقاء أجر معلوم ، وكان وجهها مجعدا كتفاحة مضمرة ... وهي حقود حسود ... ذات طبع حاد لا يمكن أن يمت للرحمة البشرية بصلة

وحين استقبلت أونوريه في منزلها ... كانت منهمكة في مزج بعض الألوان لصبغ ثياب بعض فتيات القرية فبادرها قائلا :

— كيف حالك أيتها الأم رابت ؟ هل تسير الأمور في طريقها العادي ؟

والتفتت إليه المرأة مجيبة :

— نعم ، نعم .. شكرا .. كيف حالك أنت ؟ .

— على أحسن حال .. إنها أمي التي تشكو

— أمك ؟ !

— نعم أمي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

— وما خطبها ؟

— إنها فى طريقها نحو الأبدية وهذا كل ما هنالك

— هل بلغ بها سوء الحال هذا الحد ؟

— لقد قال الطبيب إنها لن تعيش حتى الضحى

— إذاً لا بد أن تكون انتهت الآن ؟

— وتلعثم أونوريه قليلا .. فلقد أراد أن يهون المهمة التى جاء من أجلها .. فكانت المرأة أشد منه دهاء .. فلم يجد بدا من مفاتحتها مباشرة بقوله .

— كم تأخذين للعناية بأمى حتى النهاية ؟ إننا يائسون من التحسن كما تعلمين .. وأنا أشفق على النساء اللاتى يشتغلن بأنفسهن .. بالأمى المسكينة .. لقد كانت تعمل كفتاة فى العاشرة رغم بلوغها الثانية والتسعين

وأجابت الأم رابت فى اقتضاب وتحفظ :

— إننى أتقاضى سعرين .. فللأغنياء .. فرنكان لليوم وثلاثة لليل .. أما للفقراء .. ففرنك واحد لليوم واثنان لليل .. وسأعاملك كالفريق الثانى : واحد واثنان

وراح أونوريه يفكر .. إنه يعرف أمه تماما .. ويعرف مقدار مقاومتها المرض .. فربما عاشت أسبوعا آخر رغم زعم الطبيب بموتها العاجل، فأجاب المرأة قائلا :

— كلا .. إننى أريد أن أكافئك إجماليا لإتمام المهمة .. إنه نوع من المقامرة .. فلقد أكد الطبيب أنها ستموت حالا .. فلو تم ذلك فسيكون ربحا لك وخسارة لى . أما إن عاشت يوما أو اثنين . فسيكون ذلك أقل ربحا لك وأقل خسارة لى .

ونظرت إليه الأم رابت بدهشة .. فلم يسبق لها أن عاملت محتضرا بعقد .. وترددت لحظة .. وفجأة راودتها فكرة الخداع فأسرعت قائلة :

— لا يمكننى الموافقة على ذلك حتى أرى أمك

— إذن .. هيا بنا لرؤيتها

وجففت المرأة يديها ثم تبعته صامتة طوال الطريق ، وحين مرورهما بالحقل المجاور للمنزل مرا بمجموع الماشية وهى ترعى الكلأ ، فتمتم أونوريه : اطمئنوا.. فستأكلون القمح الجديد عن قريب

ولم تكن المرأة العجوز قد ماتت بعد .. بل كانت مستلقية على ظهرها ، وقد امتدت يداها فوق غطاء الفراش الملون وقد بدا عليهما الضعف والهزال . واتجهت الأم رابت نحو الفراش ثم حدقت فى المرأة المحتضرة وتحسست بنفسها ثم مرت بيدها على صدرها وهى تصغى لصوت تنفسها الخافت الذى يشبه النزع ، وألقت عليها بضع أسئلة حتى تتأكد من ضعف صوتها ؛ ثم غادرت الغرفة بعد ذلك الامتحان يتبعها أونوريه . كان رأيها الشخصى أن المرأة لا يمكن أن تستمر على قيد الحياة حتى المساء

وسألها أونوريه بلهفة : والآن ؟

وأجابته المرأة بخبث :

— ستعيش يومين وربما ثلاثة أيام .. وسأتقاضى منك ستة فرنكات

وردد أونوريه قولها : ستة فرنكات ؟ يالله ..ست فرنكات كاملة ؟ هل جننت أيتها المرأة ؟ سوف لا تعيش إلا خمس أو ست ساعات على الأكثر

واشتد الجدل بين الرجل والمرأة .. وأصرت المرأة على الرحيل .. فتخيل أونوريه حنطته فى انتظار الحصاد ، فلم يجد بدا من الخضوع وتمتم مستاء : سأعطيك المبلغ على أن ينتهى الأمر كلية مهما طال أمده

وأوسع خطاه نحو الحقل .. فى حين رجعت الأم رابت إلى حجرة المريضة وهمست قائلة لها : لا شك أنك تريدين الاعتراف يا مدام بونتمبس ؟

وأشارت مدام بونتمبس برأسها إيجابا .. فنهضت الأم رابت بسرور ونشاط وهى تهتف : ياإله السموات .. سأذهب لإحضار القس

وأسرعت المرأة فى طريقها نحو القس .. وعادت معه وهى تضطره إلى الإسراع غير عابئة بدهشة الرجال الذين ينظرون إليها باستغراب ، ولا بنظرات النساء اللائى كن يرسمن علامة الصليب على صدورهن . ورآهن أونوريه عن بعد . . فتساءل عن سبب إسراع القس ، وما كان أسرع جاره فى الإجابة عليه قائلا : إنه سيتلقى اعتراف أمك دون شك

ولم يساور أونوريه العجب لذلك .. بل واصل الحصاد فى هدوء وتلقى القس اعتراف مدام بونتمبس ، ثم غادر المكان . ومرة أخرى أصبحت المرأتان على انفراد وابتدأت الأم رابت تفقد صبرها

وهى تعجب كيف أن المرأة لم تمت حتى الآن

وشحب لون النهار .. وازدادت برودة الجو . وراحت فراشات الليل تحوم حول النافذة تحاول التحرر من أسرها كروح المرأة العجوز التى كانت راقدة دون حراك وعيناها محملقتان وكأنها فى انتظار رؤية شبح الموت .. بينما كانت أنفاسها تتدافع من صدرها بطيئة ذات صفير خافت أليم

وعاد أونوريه .. فوجد أمه ما زالت على قيد الحياة .. فتساءل دهشاً عن كيفية إمكان ذلك .. ثم ودع الأم رابت بعد أن أوصاها أن تعود فى تمام الخامسة من صباح اليوم التالى .. وفعلا عادت المرأة قبل انبثاق الفجر وأسرعت بسؤال أونوريه قائلة: ألم تمت أمك بعد ؟

وأجابها وهو يسير نحو الحقل : كلا وأظنها أحسن حالا

وضاقت الأم «رابت» ذرعاً ، فتوجهت توا إلى حجرة المرأة المحتضرة فوجدتها كما كانت بالأمس تماماً..هادئة ساكنة مفتوحة العينين ، ويداها ممدودتان فوق غطاء الفراش الملون .. يبدو عليهما الضعف والهزال ؛ ورأت الأم رابت أن المرأة يمكن أن تظل هكذا يومين أو أربعة .. بل ربما عاشت أسبوعاً آخر .. فأحست بانقباض يسود نفسها .. وبحقد هائل نحو ذلك الذى خدعها بأمه التى لا تريد أن تموت . وظلت عيناها محدقتين بمدام بونتمبس طيلة هذا الصباح حتى عاد أونوريه للغذاء . ثم رجع إلى حقله لإكمال حصاد حنطته

وكادت الأم رابت تفقد شعورها . فلقد خيل إليها أن كل دقيقة تمر إنما هى زمن مسروق منها ومن حقها أن تتقاضى عليه أجرا

وأحست برغبة قوية . رغبة مجنونة فى أن تضغط على ذلك العنق الهزيل فتخمد أنفاس المرأة التى كانت تسلبها وقتها المقدس ولكنها حينئذ استطاعت أن تتصور بشاعة جريمتها

وراودتها فكرة أخرى . واقتربت من المرأة المحتضرة ، وهمست تسألها : ألم ترى الشيطان بعد ؟

فأجابتها مدام بونتمبس هامسة : كلا

وابتدأت الممرضة تلقى على مسامعها بعض القصص الخرافية المخيفة . فقالت إن : الشيطان يظهر عادة لهؤلاء الذين على وشك الموت قبل موتهم بدقائق معدودات ، ثم راحت تصف لها شكل الشيطان ، فادعت أنه يحمل فى يده محصدا كبيرا وعلى رأسه قدر مملوءة بسائل يغلى مسمر به ثلاثة قرون . واستمرت فى حديثها الرهيب ، فعددت لها أسماء من زعمت أن الشيطان قد ظهر لهم قبل موتهم . وفعل ذلك الحديث فعل السحر فى مدام بونتمبس ؛ فبدت مضطربة حائرة ، لا يستقر رأسها على الوسادة فى مكان واحد

واختفت الأم رابت حينئذ وراء الستار بجانب الفراش . وتناولت من صندوق بالقرب منها ملاءة بيضاء ألقتها فوق رأسها لحجبتها من قمة رأسها إلى أخمص القدم . ثم وضعت على رأسها قدرا بدت أرجلها الحديدية كثلاثة قرون مدببة . ثم أمسكت بيدها مكنسة مستطيلة . وما كادت تنتهى من كل ذلك حتى صعدت فوق مقعد مرتفع

وفجأة رفعت الستار وبدت بهيئتها أمام المريضة

ومرت لحظة فزع ورعب .. وحاولت المرأة المسكينة بكل قواها أن تهرب من الشيطان .. شيطان الموت الرهيب .. ولكنها ما كادت تتحرك حتى خانتها قواها وارتمت على الفراش مرة أخرى وانتهى كل شئ

وبكل هدوء ودعة . أعادت الأم رابت بضاعتها إلى أماكنها ، ثم أغلقت عين المرأة الميتة ، العينين الفزعتين المحدقتين فى خوف وفزع ، ثم جثت على ركبتيها جانب الفراش وابتدأت تصلى على الراحلة بحكم العادة

وحين عاد أونوريه من الحقل عند الغروب ، وجد الأم رابت جاثية على ركبتيها تصلى ، فتأكد أن روح أمه قد فاضت وابتدأ يفكر

لقد استمرت المرأة فى خدمة أمه ثلاثة أيام وليلة ، أى أن أجرها كان يجب أن يكون خمس فرنكات ، ولكن ، يجب عليه الآن أن يدفع ستة

وغمغم قائلا بغضب :

— يالحظ السوء ، لقد خسرت فرنكا !

ع . ج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجزء الثـــالث من

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع
والقصص

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من ادارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات

ليكن فى علم الجمهور بأن جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف الحالى وزعت على المحطات للعمل بهـا ابتداءا من أول مايو سنة ١٩٥٢ وقد راعت المصلحة عند إعدادها تحقيق رغبات الجمهور كما يتبين من التحسينات المبينة بها كما أن قطارات الديزل الجديدة ستسير من أول مايو سنة ١٩٥٢ بين خط مصر — الإسكندرية . وخط مصر — الشـــلال

وتطلب هذه الجداول من شبابيك تذاكر المحطات وكذا من الباعة المرخص لهم ببيعها مقابل عشرون مليما للنسخة الواحدة

المدير العام

سيد عبد الواحد

مطبعة الرسالة